رسائل الإصلاح (١٦)



الشيخ المراغي

والإصلاح الديني في القرن العشرين

أ. د. محمد عمارة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

رسائل الإصلاح (١٦)



الشيخ المراغي

والإصلاح الديني في القرن العشرين

تأليف

أ. د. محمد عمارة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

* * *

(١)

بطاقة حياة

• الشيخ المراغي.. هو محمد بن مصطفى بن محمد ابن عبد المنعم المراغي (١٢٩٨-١٣٦٤هـ/ ١٨٨١-١٩٤٥م) نسبةً إلى « مراغة »، مركز « جرجا » محافظة « سوهاج » - بصعيد مصر -..

• ولد في (٧ من ربيع الثاني ١٢٩٨هـ/ ٩ من مارس ١٨٨١م)..

• ولقد وجهه والده - الذي كان على قدر من العلم والثقافة - إلى حفظ القرآن الكريم... ولقنه نصيبًا من المعارف الدينية العامة..

ولنجابته بعث به والده لطلب العلم في الأزهر الشريف - بالقاهرة - فتلقى العلم على كوكبة من علمائه.. وتأثر بعلماء التيار المجدد- ومنهم شيخه الشاب علي الصالحي.. الذي درس المراغي عليه علوم العربية، وتأثر بأسلوبه في البيان والتعبير..

• فلما كان اتصاله بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) كانت النقلة النوعية التي حددت مكانته العلمية، ومستقبله في مدرسة الإحياء والتجديد والإصلاح.. فلقد تلمذ على محاضرات الأستاذ

الإمام في التفسير للقرآن الكريم.. وفي التوحيد وتنقية العقائد الإسلامية من «شغب» المتكلمين القدماء.. وفي البلاغة التي وصلت العربية الحديثة بعصر الازدهار، متخطية عصور الجمود والركاكة والانحطاط..

• وفي (١٢ من ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ٢٧ من مايو ١٩٠٤م) - تقدم الشيخ المراغي لامتحان «العالمية» - وهو في الرابعة والعشرين من عمره - وكان أصغر أقرانه سنًّا - وكان يومئذ مريضًا بالحُمّى - فنال شهادة «العالمية» بتقدير «الدرجة الثانية» - مثل أستاذه محمد عبده!.. وذلك لأن الطلاب السالكين طريق التجديد لم يكونوا - في ذلك الحين - يحظوْن بالرضا من قبل شيوخ الأزهر، الذين كانت تغلب عليهم المحافظة والتقليد!..

• وكما كان محمد عبده أنجب تلاميذ جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤- ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨ - ١٨٩٨م) - موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام - وكان المهندس الأول لفكر مدرسة الإحياء والتجديد، وأبرز زعماء الإصلاح الديني.. كذلك كان الشيخ المراغي أنجب تلاميذ الأستاذ الإمام، وحامل لواء مشروع الإصلاح الديني الذي صاغته هذه المدرسة، لتخرج به الأمة الإسلامية من بين شقي رحى «التخلف الموروث» و«التغريب» الزاحف على العقل المسلم في ركاب الاستعمار الغربي، والذي يتمدد في الفراغ الثقافي الذي صنعه الجمود والتقليد..

• ولقد عَمِل الشيخ المراغي - عقب تخرجه - بالتدريس في الأزهر بضعة أشهر، لفت فيها الأنظار، حتى لقد التف حوله حشودٌ من الطلاب..

• وبعد عام من تخرجه، رشَّحه الشيخ محمد عبده ليعمل قاضيًا بالسودان - الذي كان تحت الحكم الثنائي: الإنجليزي المصري - .. ولقد كتب عن لقائه بأستاذه الإمام محمد عبده لوداعه ليلة سفره إلى السودان سطورًا تفصح عن نضجه العلمي المبكر، وتشي بملامح عبقرية إسلامية في طريقها إلى التألق والنبوغ.. كتب فقال:

« ذهبت لوداع الشيخ محمد عبده ليلة سفري إلى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة في نوفمبر (١٩٠٤م) فسألني:

- هل معك رفقاء السفر؟

- فقلت: نعم، بعض كتب آنس إليها، وأستديم بها اتصالي بالعلم.

- فقال: أو معك كتاب الإحياء؟ (إحياء علوم الدين للإمام الغزالي).

- فقلت: نعم.

- فقال: هذا الكتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفرًا طويلًا دون أن يكون رفيقه ».

ثم يستطرد الشيخ المراغي متحدثًا عن مكانة الإمام الغزالي في فكره.. ومكانته من فلاسفة الإسلام فيقول:

« إذا ذُكرت أسماء العلماء اتجه التفكير إلى ما امتازوا به من العلم وشُعب المعرفة..

فإذا ذُكر ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ/ ٩٨٠ - ١٠٣٧م) أو الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩هـ/ ٨٧٤ - ٩٥٠م)، خطر بالبال فيلسوف عظيم من فلاسفة الإسلام.

وإذا ذُكر ابن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨هـ/ ١١٦٥ - ١٢٤٠م) خطر بالبال رجل صوفي له في التصوف آراء لها خطرها.

وإذا ذُكر البخاري (١٩٤ - ٢٥٦هـ / ٨١٠ - ٨٧٠م)، ومسلم (٢٠٦ - ٢٦٠هـ / ٨٢٠ - ٨٧٥م)، وأحمد (١٦٤ - ٢٤١هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥م) خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة والدقة ومعرفة الرجال.

أما إذا ذُكر الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م)، فقد تشعبت النواحي، ولم يخطر بالبال رجل واحد، بل خطر بالبال رجال متعددون، لكل واحد منهم قدرته وخطره؛ يخطر بالبال الغزالي الأصولي الحاذق الماهر، والغزالي الفقيه الحر، والغزالي المتكلم إمام السنة وحامي حماها، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العلم وخفيات الضمائر، ومكنونات القلوب، والغزالي الفيلسوف الذي ناهض الفلسفة وكشف عما فيها من زخرف وزيف، والغزالي المربي، والغزالي الصوفي الزاهد...

وإن شئت فقل: إنه يخطر بالبال رجل هو (دائرة معارف) عصره، ورجل متعطش إلى معرفة كل شيء، نَهِمٌ إلى جميع فروع المعرفة... »[١].

هكذا كتب الشيخ المراغي عن الفكر الإسلامي وأعلام هذا الفكر - في هذه السن المبكرة - هذه السطور التي تحدد مكانته من العلم الإسلامي.. ومن تقدير العلماء..

• وفي السودان، عَمِلَ الشيخ المراغي قاضيًا لمديرية « دنقلة ».. ثم انتقل قاضيًا « للخرطوم ».. واتصلت - من السوادن - مراسلاته مع شيخه الأستاذ الإمام، الذي ظل المراغي وفيًا له ولمذهبه في الإصلاح الديني، حتى لقد أرجع إليه كل ما قدم في هذا الميدان.. فقال عنه - يوم عودته المظفرة إلى مشيخة الأزهر في (ربيع الأول ١٣٥٥هـ / يونية ١٩٣٥م): « إنه هو المصباح الذي أهتدي به ».. ووصف منزله بأنه « كان محط الرغائب، وأمل كل طالب »[٢].

• وفي (١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م) استقال الشيخ المراغي من منصب القاضي بالسودان - لخلاف بينه وبين قاضي القضاة والسكرتير القضائي - مستر كارتر - وهو إنجليزي - حول

---

(١) علي عبد العظيم: مشيخة الأزهر (٢/ ١٢، ١٣)، طبعة القاهرة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٢) المنار، ج(٢)، مجلد (٣٥)، (ص ١٣٩) عدد (٢٩) (ربيع الآخر ١٣٥٤هـ/ ٣٠ من يوليو ١٩٣٥م).

اختيار المفتشين بالمحاكم الشرعية السودانية.. وحول التميز الإنجليزي بين القضاة الإنجليز وبين القضاة المصريين.. فلقد كان مرتب القاضي الإنجليزي خمسين جنيهًا، بينما كان مرتب القاضي المصري أربعة عشر جنيهًا.. فلما قرر المفتش القضائي الإنجليزي للقضاة المصريين « علاوة » قدرها ستة جنيهات، رفضها الشيخ المراغي.. ودار بينه وبين المفتش الإنجليزي هذا الحوار:

- كارتر: إني لأعجب لقاضٍ شرعي يرفض ستة جنيهات علاوة في الشهر!

- الشيخ المراغي: إن عجبي مثل عجبك! من أن القاضي الإنجليزي يتناول (٥٠) جنيهًا، بينما تستكثر على القاضي الشرعي (٢٠) جنيهًا!..

وطلب الشيخ إجازة ثلاثة أشهر.. وعاد إلى مصر.. واستقال.. ورفض العودة إلى السودان رغم إلحاح السكرتير الإنجليزي عليه في العودة..

• وفي غرة شعبان (١٣٢٥هـ / ٩ من سبتمبر ١٩٠٧م) - عُين الشيخ المراغي مفتشًا للدروس الدينية بديوان عموم الأوقاف (نظارة الأوقاف).. ولقد جمع بين هذه الوظيفة وبين العمل الذي يهواه، وهو التدريس بالجامع الأزهر..

• وإبان عمله مفتشًا للدروس الدينية بنظارة الأوقاف،

صحب الخديوي عباس حلمي الثاني (١٢٩١ - ١٣٦٣هـ / ١٨٧٤ - ١٩٤٤م) لصلاة الجمعة بأحد المساجد.. وكان الخطيب كفيفًا - وهو العلامة الشيخ يوسف الدجوي (١٢٨٧ - ١٣٦٥هـ / ١٨٧٠ - ١٩٤٦م) - فاستنكف الخديوي أن يكون الخطيب والإمام أعمى!.. فأجابه الشيخ المراغي:

- إن الإسلام لا يشترط أن يكون الإمام أعمى أو بصيرًا..

فخرج الخديوي من المسجد غاضبًا!..

• وفي (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) طلب « سلاطين باشا » (١٨٥٧ - ١٩٣٢م) - وكيل حكومة السودان بمصر - من الشيخ المراغي أن يعود إلى السودان قاضيًا للقضاة.. فقال له الشيخ:

-إن حكومة السودان - الإنجليزية - أبت عليّ في العام الماضي وظيفة مفتش بالمحاكم الشرعية، فكيف ترضى اليوم أن أكون قاضيًا للقضاة؟!..

فأجابه « سلاطين باشا »:

- إن الحكومة اقتنعت اليوم بما لم تكن تقتنع به، وإني أريد أن أعرف الشروط التي تجعلها أساسًا لقبول هذا المنصب الخطير؟

فاشترط الشيخ المراغي أن يصدر مرسوم تعيينه من الخديوي - حاكم مصر المسلم - وليس من الإنجليز - لما في

ذلك من دلالة سياسية في علاقة السودان بمصر - ودلالات شرعية، تؤكد على اختصاص الحاكم المسلم بالولايات الشرعية في بلاد الإسلام...

ولقد أصرَّ على شرطه هذا، حتى استجابت له الحكومة الإنجليزية.. فصدر قرار تعيينه قاضيًا لقضاة السودان في (٣ من رجب ١٣٢٦هـ / أول أغسطس ١٩٠٨م) - من الخديوي - وليس من الإنجليز..

• وفي السودان أصرَّ الشيخ المراغي على أن يختار هو - وليس السكرتير الإنجليزي - المذاهب والآراء والاجتهادات الفقهية التي يحكم بموجبها القضاة.. وكانت تلك بدايات إنجازاته في إصلاح القضاء الشرعي بالسودان.. وفيه كان أستاذًا ومعلمًا ومرشدًا للقضاة.. كما عمل على تكوين جيل من القضاة السودانيين، فأشرف على القسم الشرعي بكلية « غوردون »، وزوده بأساتذة من العلماء المصريين الممتازين - من الأزهر ودار العلوم - فكان - بذلك - المؤسس الحقيقي للقضاء الشرعي السوداني الحديث-..

• وفي السودان تعلم الشيخ المراغي اللغة الإنجليزية..

• وإبان ثورة الشعب المصري ضد الاحتلال الإنجليزي طلبًا للاستقلال (١٣٣٧ هـ / ١٩١٩م)، قاد الشيخ المراغي المصريين بالسودان في حملة لمناصرة الثورة الوطنية، ولإعانة ضحاياها.. فأصدروا نشرة عنوانها: « اكتتاب لمنكوبي الثورة

بمصر » كانت بمثابة صوت الثورة المصرية في السودان، وصوت التضامن السوداني مع الثورة المصرية ».

ولقد اتهمه الإنجليز « بإعلان الثورة في السودان ».. وطلب منه المستر « دن » - نائب الحاكم العام للسودان - إيقاف هذا النشاط.. فرفض.. فلما قال له المستر « دن »:

- إني أكلمك كرئيس..

رد عليه الشيخ - غاضبًا -:

- كنت أفهم أنك تعلم واجبك! إنه ليس لي رئيس هنا، فإن الحاكم العام معين بأمر ملكي، وهو الحاكم السياسي، وأنا معين بأمر ملكي، وأنا قاضي القضاة، ولا إشراف لأحدٍ منا على الآخر..

ولقد علّق الحاكم العام على موقف الشيخ المراغي هذا بقوله:

- لقد قلت للإنجليز - هنا وفي لندن -: إن الشيخ المراغي لا يمكن مناقشته أو التغلب عليه، ومن الصعب إقناعه.. إن الشيخ المراغي يُعد من دهاة العالم!

ولقد كتبتْ صحيفة « التيمس » - الإنجليزية - إبان ذلك تقول: « أبعِدُوا هذا الرجل، فإنه أخطر على بلادنا وحياتنا من ويلات الحرب! ».

• ولقد مضى الشيخ المراغي في قيادة النشاط الوطني والثوري المناصر لثورة (١٩١٩م).. فقاد - بالسودان - مظاهرة كبيرة..

وأخذ يجمع التوقيعات - من المصريين والسودانيين - تأييدًا لزعامة سعد زغلول باشا (١٢٧٣-١٣٤٦هـ/ ١٨٥٧-١٩٢٧م) للثورة، وتوكيلًا له ولصحبه في المطالبة بالاستقلال..

• ولقد تصاعد غضب الإنجليز على الشيخ المراغي.. فاقترح البعض سجنه.. واقترح البعض اعتقاله ونفيه.. ولكن الحاكم العام للسودان خشي غضبة الشعب السوداني.. فقرر منحه إجازة عاجلة غير محدودة.. فعاد إلى مصر.. وانتهى عمله بالسودان (١٩١٩م)..

• ولقد كانت شجاعة الشيخ المراغي في الحق نموذجًا يعيد إلى الذاكرة المثل العليا التي تجسدت في التاريخ العظيم لعظماء علماء الإسلام..

فإبان توليه للقضاء - بمصر - حاول أحد الأثرياء التأثير على ضميره القضائي، لقاء مبالغ مالية ضخمة، يسيل لها اللعاب!.. فأبى ضميره مخالفة الحق والعدل.. فاستأجر هذا الثري مجرمًا لقتل الشيخ!.. فألقى عليه ماء النار.. لكن اللّه لطف، فأصابت النار عنقه وأجزاء من جسمه ولم تلن - مع ذلك - لعدالة الشيخ قناة.. وعرفت هذه القضية باسم «قضية هنري سكاكيني»..

• ولقد كانت الحكومات المصرية - خضوعًا للاستعمار الإنجليزي - قد حرّمت على مشيخة الأزهر التدخل في السياسات العامة - خصوصًا ما يمسُّ منها مصالح الدولة المستعمرة -.. لكن الشيخ المراغي رفض هذا الخضوع..

وعلى حين صمت رؤساء الوزارات المصرية، وجمهور الساسة والنخبة السياسية وزعماء الأحزاب عن التصدي للمخطط الصهيوني المتحالف مع الاستعمار الإنجليزي لاغتصاب أرض فلسطين ومقدسات المسلمين في القدس الشريف.. جهر الشيخ المراغي - من موقعه كشيخ للأزهر (١٩٢٩م) - بالرأي الإسلامي والوطني في هذا المخطط الاستعماري الصهيوني.. فكانت سابقة تحدث عنها الشيخ رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥م) - إبان حملته على المخطط الصهيوني - فقال:

« هذه أول مرة يُصرِّح فيها شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية في مصر بالعطف على المسلمين في أثناء ثورة سياسية[1] بينهم وبين شعب أجنبي تؤيده الدولة البريطانية، بعد أن أجرَّت السلطة المصرية ألسنة علماء الأزهر - (قيدت ألسنتهم) - وألجمتهم، وحرَّمت عليهم ما هو مباح لجميع المصريين من إبداء رأيهم في الأمور السياسية، وقد كانوا من قبل أصحاب الرأي الأعلى والقدح المعلى في جميع المصالح الإسلامية والوطنية، حتى أنهم هم الذين ولَّوا محمد علي باشا مصر.

ومما يصح أن يذكر بالإعجاب أن صوت الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية، قد

---

(١) هي ثورة البراق - في فلسطين (١٩٢٩م).

ارتفع في هذه المسألة في وقت خرست فيه ألسنة جميع أمراء مصر وكبرائها الأحرار (!!). حتى غير المقيدين بسياسة الحكومة ومشربها، لا الوزراء والرؤساء الرسميين وحدهم - وهو من كبارهم - فهذا فتح جديد في النهضة العربية واليقظة الإسلامية معًا » - تمثل في موقف الشيخ المراغي من قضية فلسطين!..

ولقد قارن صاحب (المنار) بين موقف المراغي وبين موقف الشيخ أبي الفضل الجيزاوي (١٢٦٣ - ١٣٤٦ هـ/ ١٨٤٧ - ١٩٢٧م) - شيخ الأزهر السابق - الذي امتنع عن الحديث في المسألة الفلسطينية.. وقال:

- نحن مقيدون. وممنوعون من كل شيء يتعلق بالسياسة[1].

• وإبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥م) أعلن الشيخ المراغي كلمته المدوية - في خطبة الجمعة.. ومن فوق منبر مسجد الرفاعي - فقال:

- « نسأل اللَّه أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل »!..

وكان بذلك يعارض سعي إنجلترا لإدخال مصر مع الحلفاء الحرب ضد المحور..

---

(١) المنار، ج (٦) المجلد (٣٠)، (ص ٤٦٦، ٤٦٧) - عدد (٣٠ من جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ/ ١ من ديسمبر ١٩٢٩م) - ولقد نشر حديث الشيخ المراغي عن فلسطين في (المقطم) بتاريخ (١٥ من ربيع الثاني ١٣٤٨هـ/ ٢٠ من سبتمبر ١٩٢٩م) وأعادت (المنار) نشره في ج (٨) مجلد (٣٠)، (ص ٦٣٧، ٦٣٨) - عدد (٣٠ من رمضان ١٣٤٨هـ/ ١ من مارس ١٩٣٠م).

ولقد أحدثت كلماته هذه هزَّة سياسية كبرى في الدوائر الاستعمارية الإنجليزية.. التي ضغطت على رئيس الوزراء المصري كي يطلب من شيخ الأزهر العدول عن موقفه.. فاتصل رئيس الوزراء بالشيخ. وأحس الشيخ بنبرة التهديد في لهجته.. فانتفض الشيخ.. وقال لرئيس الوزراء:

« مثلك يهدد شيخ الأزهر؟! وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة، ولو شئت لارتقيت منبر مسجد الحسين وأثرت عليك الرأي العام، ولو فعلتُ لوجدتَ نفسك على الفور بين عامة الشعب »![1].

• وكما كان الإمام محمد عبده مثلًا أعلى في شموخ العلم والعلماء أمام الحكام.. يقول عنه الخديوي عباس حلمي الثاني: « إنه يدخل عليّ كفرعون! » ويداعبه أستاذه جمال الدين الأفغاني، فيقول له: « قل لي.. ابن أي ملك من الملوك أنت؟! ».. كذلك كان شموخ الشيخ المراغي أمام الحكام والكبراء..

زارهُ يومًا حاكم الأقاليم ببلدته « المراغة » فحيَّاه الشيخ التحية المناسبة.. ثم دخل عليه قارئ للقرآن، فحيَّاه واحتفى به أكثر من حفاوته بالحاكم!.. فلما انصرف الحاكم، سُئل الشيخ عن علة هذا التفريق في المعاملة؟.. فقال:

---

(١) مشيخة الأزهر (٢/ ٣٩).

• ومع هذا الشموخ – في الحق – والكبرياء المشروع أمام المستكبرين وأعداء الحق.. كان الشيخ المراغي متواضعًا.. يضرب المثل بنفسه في المحاسبة ونقد الذات..

سأله أحد الصحفيين:

– ما هي عيوبنا؟

– فقال الشيخ: إنها كثيرة. ولكن، لماذا تسألني عن عيوب الناس؟ سلني عن عيوبي أنا، فإنني وأنا في هذه السن المتقدمة – (١٩٤١م) – وفيما أنا عليه من ضعف الصحة – أقبل عملاً من الأعمال العامة، وكان يجب أن أتركه لشباب يستطيع تحمل أعبائه أكثر مما أستطيع أنا. وهذا عيب كثيرين لا يتركون أماكنهم لمن هم أصلح منهم، ولو أن كل واحد منا ترك مكانه لمن هو أجدر به لأصبحنا في خير وفي خير عظيم. أما بقية عيوبي فإن اللّـه يعرفها، وأسأله تعالى أن يغفرها لي ! ».

• وقبيل وفاته بأيام، أصيب بـ « انفلونزا » خفيفة.. فدخل مستشفى المواساة – بالإسكندرية – في (رمضان ١٣٦٤هـ/ أغسطس ١٩٤٥م)...

ومع العلاج عكف على تفسير سورة القدر، ليلقي عنها حديثًا في ليلة القدر.. وكانت الممرضة تشفق عليه من الجهد.. وتطلب منه أن يستريح.. فرفض، وعكف على كتابة التفسير..

ولكن زيارة الملك فاروق له – بالمستشفى – قد أحدثت

انقلابًا في حالته الصحية.. كان الملك قد طلق زوجته الملكة « فريدة » فطلب من الشيخ المراغي أن يفتي بتحريم زواجها من أحد غيره!.. فرفض الشيخ الاستجابة لطلب الملك.. وضاق الملك ذرعًا بهذا الرفض.. واحتدم بينهما النقاش.. فقال المراغي للملك:

- « أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التحريم فلا أملكه ».

ثم صاح بأعلى صوته:

- « إن المراغي لا يستطيع أن يحرِّم ما أحل اللّـه! »..

وعقب هذا اللقاء العاصف، ساءت صحة الشيخ.. فانتقل إلى رحاب ربه - شهيدًا من شهداء الحق - في (١٤ من رمضان ١٣٦٤هـ / ٢٢ من أغسطس ١٩٤٥م).. عليه رحمة اللّـه..

• ومع أن الشيخ المراغي قد احترف صناعة الإصلاح أكثر مما احترف صناعة التأليف.. وأنجز في ميدان تربية العلماء أعظم مما أنجز في تسطير الكتب.. إلا أنه قد ترك من الكتب والرسائل والمقالات والأحاديث والأحكام القضائية ومذكرات مشاريع الإصلاح ما ينتظر الجمع في (أعماله الكاملة) التي ستثري فكر الاجتهاد والتجديد والإصلاح الديني على نحو أكيد..

لقد خلف لنا - غير المقالات والأحاديث والأحكام القضائية ومذكرات المشاريع الإصلاحية-:

١- (الأولياء والمحجورون) وهو بحث فقهي، نال به عضوية « هيئة كبار العلماء » -مخطوط بمكتبة الأزهر.

٢ - (تفسير جزء تبارك) جعله امتدادًا لتفسير أستاذه الشيخ محمد عبده لتفسير جزء عم - وهو مخطوط.

٣ - بحث في وجوب ترجمة القرآن الكريم - طبع بمطبعة الرغائب (١٩٣٦م).

٤- (رسالة الزمالة الإنسانية) - كتبها لمؤتمر الأديان - بلندن (١٩٣٦م) - وطبعت بمطبعة الرغائب (١٩٣٦م). ونشرت بمجلة الأزهر - عدد (جمادى الأولى ١٣٥٥هـ/ يوليو ١٩٣٦م).

٥ - بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قانون الزواج - رقم (٢٥) (١٩٢٩م) - طبعت بالقاهرة.

٦ - مباحث لغوية بلاغية - كتبها أثناء تدريسه لكتاب (التحرير في الأصول) - مخطوطة.

٧ - الدروس الدينية - وهي تفسير لبعض السور والآيات القرآنية ألقاها في مناسبات عامة - وقد نشرت بمجلة الأزهر.. أو في كتيبات مستقلة..

٨ - مقالات وخطب عديدة.. كتبت وألقيت في مناسبات مختلفة.. وجمعت نماذج منها في نهاية كتاب (الشيخ المراغي بأقلام الكتاب) - طبعة القاهرة (١٩٥٧م)"[1]..

---

(١) انظر في وقائع هذه الحياة: مشيخة الأزهر (٢/ ١١-٤٣).

(٢)
في الإصلاح القضائي والتشريعي

في مصر.. وبعد عودة الشيخ المراغي إليها من السودان (١٩١٩م).. كان الإصلاح القضائي والتشريعي من أهم الميادين التي أولاها عنايته - كما كان هذا الميدان امتدادًا لما قام به في السودان - مع التوسع والشمول الذي يقتضيه الواقع في مصر - ..

وفي هذا الميدان من ميادين الإصلاح - القضائي والتشريعي - مارس الشيخ المراغي العمل الإصلاحي من موقع « الخبير ».. فلقد تولى - في هذا الميدان - من المناصب الرفيعة:

١ - رئيس التفتيش الشرعي بوزارة الحقانية - (العدل) - في (محرم ١٣٣٨هـ / ٩ من أكتوبر ١٩١٩م)..

٢ - ورئيس محكمة مصر الكلية الشرعية في (١٥ من ذي القعدة ١٣٣٨هـ/ ٢١ من يوليو ١٩٢٠م)..

٣ - وعضو المحكمة العليا الشرعية في (١٧ من جماد أول ١٣٣٩هـ/ ٢٧ من يناير ١٩٢١م)..

٤ - ورئيس المحكمة العليا الشرعية في (٢ من جماد أول ١٣٤٢هـ/ ١١ من ديسمبر ١٩٢٣م)..

وإبان توليه لهذه المناصب القضائية - على امتداد نحو عشر سنوات - امتدت إصلاحاته إلى ميادين التشريع والتقنين للفقه الإسلامي.. وطبق دعوة أستاذه الإمام محمد عبده إلى الاستفادة - في التشريع والتقنين - من مجمل التراث الفقهي الإسلامي، على اختلاف مذاهبه.. وليس فقط المذهب الحنفي - كما كان الحال في الدولة العثمانية وولاياتها - ومنها مصر -...

ولقد قال الشيخ المراغي للجنة تنظيم الأحوال الشخصية - التي رأسها -:

« ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم.

إن الشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد في تفريعاتها وأحكامها في القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينفعنا في كل وقت، وما يوافق رغائبنا وحاجاتنا وتقدمنا في كل حين، ونحن في ذلك كله ملازمون لحدود شريعتنا.

ولكن فريقًا من متأخري العلماء رأوا أن كل ما جاء في كتب الفقه من المتون والحواشي والآراء المصيبة والمخطئة كل ذلك من الدين ومن أصوله التي يجب أن نتمسك بها ولا نحيد عنها، وهم مخطئون في هذا الفهم؛ إذ إن من ينظر في كتب الشريعة الأصلية بعين البصر والحذق، يجد من غير المعقول أن نضع قانونًا أو كتابًا أو مبدأ في القرن الثاني عشر من الهجرة ثم نجيء بعد ذلك فنطبق هذا القانون أو المبدأ

(١٣٥٤هـ). وإن من ينظر في أقوال الأئمة من مذهب أبي حنيفة وما وقع بينه وبين أصحابه محمد وزفر وأبي يوسف وبينهم هم، يجد التجديد في الأحكام الشرعية ميسورًا لنا، ويجد بطلان الدوام لأحكام معينة وبقائها؛ حيث يبقي الدهر من الأمور البدهية.

ومعنى هذا أن المسائل الفقهية ما دامت غير قطعية فهي قابلة، بحكم الشرع للتجديد والتغيير.. »[1].

هكذا رسم الشيخ المراغي منهاج الإصلاح والتجديد في التشريع والتقنين.. ثم وضع هذا المنهاج في الممارسة والتطبيق..

• ولقد كان صدور قانون الأحوال الشخصية في (ذي القعدة ١٣٣٨هـ/ يونيو ١٩٢٠م) - أول إنجاز من إنجازات الإصلاح التشريعي التي قادها الشيخ المراغي ووجهها ورعاها في هذا الميدان..

وتلاه تعديل قانون الطلاق - الذي جعل الطلاق الثلاث في المجلس الواحد طلقة واحدة - .. وتلاه إصلاح القوانين الحاكمة لعدة الزوجة التي غاب عنها زوجها.. والقانون الذي يجعل للحفيد - الذي مات والده قبل جده - ميراثًا في تركة جده..

وهكذا أخذت دعوة الإمام محمد عبده للإصلاح القضائي والتشريعي تعرف طريقها إلى التطبيق على يد أبرز تلاميذ

---

(١) انظر في وقائع هذه الحياة: مشيخة الأزهر (٢/ ١٩، ٢٠).

الأستاذ الإمام وأنجبهم.. الذي حمل علم الإصلاح الديني في القرن العشرين..

• ولقد كان شعار الشيخ المراغي في احتضان مجمل تراث المذاهب الفقهية الإسلامية.. والاختيار من بين اجتهاداتها.. وفتح باب الاجتهاد في القضايا والمشكلات المستجدة.. وفي التيسير في الفتوى.. كان شعاره كلمة أستاذه الإمام محمد عبده: «العلم هو ما ينفعك وينفع الناس».. ولقد قال المراغي في هذه المعاني:

«.. ومن المعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب هذا الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي إلى الحق في أكثر الأوقات، يجب أن يدرس الفقه دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها في الأدلة، وأن تكون الغاية من تلك الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها.

والنظر في الأحكام الاجتهادية بجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة، كما كان يفعل السلف من الفقهاء..

وهناك أمور يجب أن يترفق الفقهاء فيها بالناس، وأن يراعوا قواعد اليسر التي هي أخص صفات الإسلام، ولا يوقعوهم في الحرج..»[1].

---

(١) انظر في وقائع هذه الحياة: مشيخة الأزهر (٢/ ٢١).

• ومع احتضان تراث المذاهب الفقهية الإسلامية المختلفة.. عمل الشيخ المراغي على التقريب بين مذاهب الطوائف الإسلامية، التي قسمت « مقالاتُها الكلامية » جمهور الأمة الإسلامية.. فكان بذلك أول المصلحين الذين ارتادوا هذا الميدان في القرن العشرين..

ففي المحادثات التي دارت بينه - كشيخ للأزهر - وبين الزعيم الإسماعيلي أغا خان (١٢٩٤ - ١٣٧٦هـ/ ١٨٧٧ - ١٩٥٧م) - في (١١ من فبراير ١٩٣٨م) تم الاتفاق على تكوين هيئة للبحث الديني، تستهدف:

١ - تأكيد روابط الصداقة بين المسلمين في كافة أنحاء الأرض.

٢ - إيجاد تضامن بين الهيئات التعليمية في البلاد الإسلامية يكون من ورائه نشر التعليم على وجه العموم، ونشر الثقافة الإسلامية على وجه الخصوص.

٣ - العمل على تبسيط قواعد الدين الإسلامي وتعاليمه.

٤ - محاولة التوفيق بين المسلمين مهما اختلفت مذاهبهم وفرقهم..»[1].

❊ ❊ ❊

هكذا كان الإصلاح القضائي.. والتجديد الفقهي.. والتقنين

---

(١) المرجع السابق.

لقواعد الفقه وأحكامه.. والتقريب بين المذاهب الإسلامية، أول الميادين التي جاهد فيها الشيخ المراغي، فأرسى قواعد الإصلاح الديني في القرن العشرين..

وهذه الإنجازات الإصلاحية - التي طبقها بمصر - مضافًا إليها ما أنجزه قبلها في السودان، قد مثلت الميدان الأول من ميادين الإصلاح الديني الذي دعا إليه وطبقه هذا الإمام العظيم..

* * *
* *
*

(٣)

إصلاح الأزهر الشريف

كان حلم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - في حياته - وكانت مقاصده العظمى من وراء جهاده الفكري - غير إصلاح مناهج الفكر والنظر.. وتوسيع أبواب الاجتهاد وميادينه.. وتأكيد علاقة الصداقة بين العلم والدين.. وبين الشرع والعقل والسنن الكونية والاجتماعية - .. كانت أحلامه ومقاصده: إصلاح المؤسسات التي تصنع العقل المسلم، وتصوغ وجدان النخبة الإسلامية، التي علق عليها الآمال في قيادة الأمة على طريق الإقلاع الحضاري، وتجاوز المأزق الذي وقعت فيه الأمة بسبب « التخلف الموروث » عن عصور التراجع الحضاري، وبسبب « الهيمنة الغربية » التي تحرس هذا التخلف، وهذه الأمراض الحضارية التي يعاني منها المسلمون.

وكان في مقدمة هذه المؤسسات التي جاهد محمد عبده لإصلاحها:

١ - الأزهر الشريف..

٢ - والمساجد..

٣ - والقضاء الشرعي..

٤ - والأوقاف..

٥- والمدارس..

وللمكانة المتميزة التي كان يحتلها الأزهر في العلم الديني - بمصر وعلى النطاق الإسلامي - بذل الشيخ محمد عبده في سبيل إصلاح الأزهر جهودًا كبيرة.. وتحمل في سبيل ذلك حربًا ضروسًا شنها عليه الخديوي عباس حلمي الثاني، والتيار المحافظ وأهل الجمود والتقليد من شيوخ الأزهر.. ومن وراء هؤلاء جميعًا وقف الخبث الاستعماري الإنجليزي، الذي أوهم الشيخ محمد عبده موافقته على إصلاح الأزهر.. بينما سعى - في الحقيقة - إلى إفشال هذه الجهود الإصلاحية، وذلك حتى يظل الفراغ الفكري الذي يصنعه الجمود والتقليد مفتوحة أبوابه أمام الغزو الفكري والتغريب!..

وحتى نعلم حاجة الأزهر - يومئذ - إلى الإصلاح، يكفي أن نعلم أن الأزهر الذي بدأ حياته العلمية والتعليمية - قبل ألف عام - بتدريس كل العلوم المدنية والطبيعية - بما فيها الطب والتشريح- .. وكل الفنون والآداب - بما فيها الموسيقى - إلى جانب الشريعة وعلومها، والعربية وعلومها وآدابها.. أن هذا الأزهر قد أصابته الغربة والاغتراب عن أغلب هذه العلوم والفنون.. وحتى علوم الشريعة فإنه قد وقف فيها عند مصنفات عصر التراجع الحضاري، الفقيرة في الإبداع، والغنية في التحشيات والتهميشات والحكاكات اللفظية والمحسنات الشكلية التي تهتم بالعَرَض على حساب الجوهر وبالشكل على حساب المضمون..

وفي الحوار الذي يحكيه الجبرتي (١١١٧ - ١٢٣٧هـ / ١٧٥٤ - ١٨٢٢م) - والذي دار بين الوالي التركي على مصر « أحمد باشا » - المعروف بـ « كوروزير » - وبين شيخ الأزهر الشيخ عبد اللّـه الشبراوي (١٠٩٢ - ١١٧٠هـ / ١٦٨١ - ١٧٥٧م) - ومعه نخبة من وجوه شيوخ الأزهر - ما يفصح عن حال الأزهر وتخلفه عن أغلب العلوم الضرورية للعصر..

لقد تكلم الوالي مع هؤلاء الشيوخ في الرياضيات، فأحجموا، وقالوا: « لا نعرف هذه العلوم »!..

ثم دار بينه وبين الشيخ الشبراوي هذا الحوار:

- الوالي: المسموع عندنا بالديار الرومية (التركية) أن مصر منبع الفضائل والعلوم، وكنت في غاية الشوق إلى المجيء إليها، فلما جئتها وجدتها - كما قيل -: (تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه!).

- شيخ الأزهر: هي - يا مولانا -كما سمعتم، معدن العلوم والمعارف.

- الوالي: وأين هي؟! وأنتم أعظم علمائها، وقد سألتكم عن مطلوبي من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئًا وغاية تحصيلكم: الفقه، والمعقول، والوسائل، ونبذتم المقاصد!

- شيخ الأزهر: نحن لسنا أعظم علمائها، وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة

والحكام. وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة إلى علم الفرائض والمواريث.

- الوالي: وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية، بل هو من شروط صحة العبادة؛ كالعلم بدخول الوقت، واستقبال القبلة، وأوقات الصوم والأهلّة، وغير ذلك..

- شيخ الأزهر: نعم، معرفة ذلك من فروض الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين. وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية، كرقة الطبيعة، وحسن الوضع، والخط والرسم والتشكيل، والأمور العطاردية، وأهل الأزهر بخلاف ذلك، غالبهم فقراء، وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق، فيندر فيهم القابلية لذلك.. »!(١).

هكذا تحدث شيخ الأزهر عن حال أهله، فوصفهم بأنهم « أخلاط يندر فيهم القابلية لهذه العلوم » الضرورية لأيّ مجتمع من المجتمعات!..

• فلما جاء محمد علي باشا (١١٨٤ - ١٢٦٥هـ/ ١٧٧٠ - ١٨٤٩م) ليبني مصر الحديثة.. وقف شيوخ الأزهر دون أن يمتد التجديد والإصلاح إلى داخل هذا الجامع العتيق والعتيد.. فتركه محمد علي كما هو.. وأنشأ التعليم المدني.. وأرسل

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (١/ ٢٧٦)، طبعة دار فارس، بيروت، ود. جمال الدين الشيال: رفاعة رافع الطهطاوي (ص ٩ - ١١)، طبعة القاهرة (١٩٧٠م).

البعثات العلمية إلى أوروبا.. واستفاد في ذلك من نبهاء طلاب الأزهر وخريجيه.. ولكن دون أن تمتد يد الإصلاح والتجديد إلى مناهج هذا الأزهر الشريف!..

• فلما جاء الشيخ محمد عبده.. وجاهد كي يدخل العلوم المدنية الضرورية إلى مناهج التعليم بالأزهر - بما فيها الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا - التي سماها من باب الترغيب « تقويم البلدان »! - وقف المشايخ لدعوته بالمرصاد.. حتى غضب.. وأصيب بالإحباط.. فاستقال من المجلس الأعلى للأزهر.. بل ومن منصب الإفتاء ومات كمدًا - في (٨ من جماد أول ١٣٢٣هـ / ١١ من يوليو ١٩٠٥م).

نعم.. لقد ظل حال الأزهر هكذا حتى ذلك التاريخ.. وبشهادة الشيخ المراغي (١٩٣٥م):

« فمنذ أربعين عامًا اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر، وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين. ومنذ أربعين عامًا قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية - في الفلسفة - في داره على شرط أن نكتم الأمر، لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة! »[1].

• ولقد حاول الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥م) أن يغري سعد زغلول باشا

---

(١) المنار، ج (٢)، مجلد (٣٥)، (ص ١٣٩)، عدد (٢٩ من ربيع الآخر ١٣٥٤هـ / ٣٠ من يوليو ١٩٣٥م).

(١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ / ١٨٥٧ - ١٩٢٧م) - وهو تلميذ محمد عبده - باقتحام هذا الميدان الشائك، لتنفيذ مشروع أستاذه في إصلاح الأزهر.. ولكن سعد زغلول - وهو زعيم الأمة - آثر السلامة مخافة الصدام مع تيار الجمود والتقليد المسيطر على هذه المؤسسة العريقة.. وقال للشيخ رشيد:

- لا، لا، إذا كان شيخنا - (الأستاذ الإمام) - لم يقدر على إصلاح الأزهر، فماذا عسى أن أفعل أنا؟!

- فقال له الشيخ رشيد: إنني سمعتك مرارًا تقول: إنه لا يرجى نهوض المسلمين إلا بإصلاح ديني - وفاقًا لما كان يقوله شيخنا الأستاذ الإمام، وأستاذ الجميع حكيمنا السيد جمال الدين - وتستدل على ذلك - كما كانا يستدلان - بأن أوروبا لم تتمكن من النهوض المدني العلمي إلا بعد القيام بالإصلاح الديني، الذي دعا إليه « لوثر » (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) وأقرانه؛ إذ ما دام المسلمون يفهمون الإسلام فهمًا خرافيًا، أو يلبسونه كالفرو مقلوبًا - كما قال سيدنا علي - كرم الله وجهه - فلا يرجى أن يصلح لهم شأن في علم ولا عمل.

فقال سعد باشا: نعم، لا أزال أرى هذا، فالترقي المدني مع المحافظة على الإسلام يتوقف على الإصلاح الديني الذي تترك به الخرافات والأوهام... إلخ..

فقال الشيخ رشيد : إذًا لا بد أن تعمل في سبيل هذا الإصلاح شيئًا، ولديك الأزهر و (المنار)، فإذا كنت قد يئست من الأزهر فلماذا لا تساعد (المنار) وتنشره في مدارس الحكومة؟

فقال سعد: الحق معك في (المنار)!..»[1].

فسعد زغلول - الذي أنشأ مدرسة القضاء الشرعي (١٩٠٧م) - فحقق حلم أستاذه محمد عبده - لكن خارج مؤسسة الأزهر! - آثر السلامة بالابتعاد عن اقتحام هذا الميدان.. ومن قبله كان ما لاقاه محمد عبده من الصد عن تحقيق الإصلاح في هذا المعهد العتيد.. ومن قبلهما كان موقف محمد علي باشا، الذي بنى مصر الحديثة.. مع إيثار السلامة بالبعد عن اقتحام ميدان الإصلاح للأزهر الشريف!..

• لكن.. شاء اللّه أن يتولى الشيخ المراغي مشيخة الأزهر في (٢ من ذي الحجة ١٣٤٦هـ / ٢٢ من مايو ١٩٢٨م).. أي بعد أقل من عام على وفاة سعد زغلول - فكان الفارس الذي قاد مسيرة الإصلاح لهذا المعهد العتيق.. والذي واجه - بشجاعة وإصرار - كل التحديات التي وضعت في طريق هذا الإصلاح.. فأنشأ اللجان لدراسة واقع الأزهر.. ولاقتراح سبل الإصلاح.. وأنشأ التنظيمات الجديدة، التي تمثلت في: كليات اللغة العربية.. والشريعة. وأصول الدين.. وأنشأ التخصصات العلمية داخل هذه الكليات. وأنشأ الدراسات العليا لخريجي هذه الكليات.. وأعلن أن المقاصد من وراء إصلاح هذا المعهد العتيد هي:

---

(١) المنار، ج (٧)، مجلد (٢٩) (ص ٥٣٩)، عدد (٢٩ من جماد الأول ١٣٤٧هـ / ٣٠ من يوليو ١٩٤٨م).

١ - تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين.

٢ - إحياء التراث العلمي المجيد الذي خلفه لنا كبار علماء المسلمين.

٣ - عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضًا صحيحًا في ثوب نقي خالٍ من الغواشي المشوهة لجماله.

٤ - العمل على إزالة الفوارق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينها.

• وإلى جانب هذا التنظيم للتعليم الجامعي الأزهري، تم تنظيم التعليم قبل الجامعي - المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية..

وفوق كل ذلك - ومعه - تم التطوير للمناهج الدراسية، على النحو الذي تجمع فيه بين الأصالة والتجديد..

• كذلك تم إنشاء « لجنة الفتوى بالأزهر » - من اثني عشر عالمًا من كبار العلماء - في (١٢ من جمادى الأولى ١٣٥٤هـ / ١١ من أغسطس ١٩٣٥م).. وتم إنشاء « قسم الوعظ والإرشاد » بالأزهر (١٩٢٨م).. وأعيد تنظيم « هيئة كبار العلماء ».. وتم إنشاء « مراقبة البحوث الثقافية الإسلامية » - في (شعبان ١٣٦٤هـ / يوليو ١٩٤٥م)..

• ولقد كان واضحًا - ومعلنًا - أن هذا الإصلاح للأزهر وتعليمه الديني إنما يتغيا الإصلاح الإسلامي على النطاق

العالمي.. وذلك انطلاقًا من عالمية الإسلام.. ووحدة الأمة الإسلامية.. والمكانة التاريخية للأزهر في هذه العالمية.. ودور مصر - بلد الأزهر - في المحيط الإسلامي الكبير..

ولقد أشار هذا المشروع الإصلاحي للأزهر إلى هذه المقاصد العالمية في رسالة هذا المعهد العتيد.. فقال:

« إن لدى الأمة قضايا كثيرة معقدة في حاجة إلى الدرس والبحث، وفي مقدمتها:

١ - قضية الرجوع إلى كتاب اللَّـه وسنة رسوله وأعمال الراشدين.

٢ - قضية التعليم الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب وأخرجته العقول.

٣ - حماية الدين من العدوان، والدعوة إليه كأمر اللَّـه.

٤ - قضية نظام الأمم الإسلامية وارتباط بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر.

٥ - قضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدبير أمورهم بحيث تخفف عنهم أعباء الحياة.

٦ - مقومات الأمم الإسلامية التي يجب أن يحافظ عليها »..

• والناظر في هذه « المذكرة » التي كتبها الشيخ المراغي منهاجًا لإصلاح الأزهر يدرك أن هذا الإصلاح - بنظره - إنما كان السبيل لتحقيق عالمية الإسلام، بتحقيق العالمية للجامعة

الإسلامية الأولى، وإصلاحها كي تكون جديرة بتحقيق هذه الرسالة العالمية للإسلام.. ولذلك، تحدثت هذه « المذكرة » عن أن:

« في الدين الإسلامي عبادات وعقائد وأخلاق وفقه في نظم الأسرة وفقه المعاملات؛ مثل البيع والرهن، وفقه في الجنايات.. وقد عرض الدين الإسلامي لغيره من الأديان، وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان، وأشار إلى بعض الأمور الكونية في النظام الشمسي والمواليد الثلاثة، من جماد ونبات وحيوان.

وقد هوجم الإسلام أكثر من غيره من الديانات السماوية السابقة، وهوجم من أتباع الديانات السابقة، وهوجم من ناحية العلم، وهوجم من أهل القانون.

ولهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدًا، تتطلب معلومات كثيرة:

- تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها.
- ومعرفة ما في الأديان السابقة.
- ومعرفة ما يجد في الحياة من معارف وآراء.
- ومعرفة طرق البحث النظري وطرق الإقناع.
- وتتطلب فهم الإسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهمًا صحيحًا.
- وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها.
- وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره.

- وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع..

- يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة، وأن تدرس السنة دراسة جيدة، وأن يفهما على وفق ما تتطلب اللغة العربية فقهها وآدابها من المعاني، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة، وأن يبتعد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه، وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية.

- يجب أن تهذب العقائد والمعاملات وتنقي مما جد فيها وابتدع، وأن تهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة.

- يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة، والأحكام المجمع عليها، والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة، كما كان يفعل السلف من الفقهاء.

- يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما هو موجود فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الإسلامي ليظهر للناس يسره وقدسيته وامتيازه عن غيره في مواطن الاختلاف.

- ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها وأسباب التفرقة وتاريخ الفرق الإسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها.

- يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها، وكل المسائل العلمية في النظام الشمسي والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن في الآيات التي أشارت إلى ذلك.

- يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طرق التأليف الحديثة، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة في عصور الإسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة عند علماء التربية.

- يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين؛ لأن رسالة النبي ﷺ عامة، ودينه عام، يجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والأمكنة المختلفة..»[1].

هكذا حدد الشيخ المراغي معالم المنهاج الإصلاحي للأزهر الشريف.. حدد المقاصد والوسائل.. انطلاقًا من عالمية رسالة هذا المعهد العتيد، النابعة من عالمية الإسلام الحنيف.. وأكد على ضرورة أن يجمع هذا الإصلاح بين الأصالة وبين التجديد، إن في العلوم والمعارف أو في سبل التأليف والتدريس.. بحيث تتخطى الدراسة في الأزهر ركاكة عصور التراجع الحضاري والفكري لتجمع بين إبداعات عصور الازدهار الأولى للحضارة الإسلامية

---

(١) انظر النص الكامل لهذه المذكرة في (المنار)، ج (٥)، مجلد (٢٩)، (ص ٣٢٥ - ٣٣٥) عدد (٣٠ ربيع الأول ١٣٤٧هـ / ١٤ من سبتمبر ١٩٢٨م) - ولقد نشرت - كذلك في (الأهرام) في (٥، ٧ من أغسطس ١٩٢٨م)، انظرها في ملحق هذه الدراسة.

وإبداعات الإحياء والتجديد في نهضتنا الحديثة.. وبعبارته: «**يجب أن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة في عصور الإسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة عند علماء التربية**»..

* * *

ولأن الطريق (١٩٢٨م) لم يكن معبدًا أمام الشيخ المراغي لتطبيق هذا المشروع الإصلاحي للأزهر الشريف.. وبسبب من العقبات - من خارج الأزهر ومن داخله - اضطر الشيخ إلى الاستقالة في (٦ من جماد أول ١٣٤٨هـ/ ١٠ من أكتوبر ١٩٢٩م)..

لكن طلاب الأزهر - وعلماء التيار التجديدي فيه - انخرطوا لعدة سنوات - في المظاهرات والإضرابات والاعتصامات - حتى سميت الثورة الأزهرية الكبرى.. وتعرض الأزهر إبانها إلى قمع الحكومات المستبدة - مثل حكومة إسماعيل صدقي باشا (١٢٩٢ - ١٣٦٩هـ/ ١٨٧٥ - ١٩٥٠م) - التي فصلت العديد من علماء الأزهر وطلابه.. حتى اضطرت هذه الحكومات - في النهاية - إلى الرضوخ لهذه «الثورة» فعاد الشيخ المراغي ثانية إلى مشيخة الأزهر ظافرًا ومنتصرًا - في (٢٣ من محرم ١٣٥٤هـ/ ٢٧ من أبريل ١٩٣٥م).. فشرع في تنفيذ مشروعه الإصلاحي، الذي تخطى به الأزهر أعناق القرون، ليصبح حاضرًا ومؤثرًا في مجتمع القرن العشرين..

لقد حقق الشيخ المراغي أغلب المقاصد التي تحدثت عنها

« مذكرته » لإصلاح الأزهر.. في التنظيمات.. وفي مناهج التدريس.. وفي الانفتاح على تراث عصر الازدهار لحضارة الإسلام.. والاستفادة من ثمرات التجديد في العصر الحديث..

كذلك ضمن بقاء الأزهر مستقلًا عن التبعية للسلطة السياسية للدولة..

وأيضًا استعاد للأزهر كثيرًا من الاختصاصات التي سبق وسلبتها منه « الدولة ».. فدعم ذلك من استقلال هذا المعهد العتيد..

ولأن الشيخ المراغي كان واحدًا من عظماء العلماء في القرن العشرين، لم تنسه نشوة النصر عندما عاد إلى المشيخة (١٩٣٥م)، ذكر فضل أستاذه الشيخ محمد عبده، إمام الدعوة إلى إصلاح الأزهر في العصر الحديث.. فقال الشيخ المراغي في الخطاب الذي ألقاه في الاحتفال بعودته إلى المشيخة:

« ومن الحق، أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة، والحديث حديث الأزهر والأزهريين، ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الأزهر العامة، ويهتدي به علماء الأقطار الإسلامية في فهم روح الإسلام وتعاليمه، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم، وعبّد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الأخلاق، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته، ولم تقدره قدره

إلا بعد أن أمعن في التاريخ، ذلك هو الأستاذ الإمام (محمد عبده) قدَّس اللّـه روحه وطيب ثراه، وقد مر على وفاته ثلاثون حولًا كاملة.

ومن الوفاء، بعد مضي هذه السنين، ونحن نتحدث عن الأزهر، أن نجعل لذكراه المكان الأول في هذا الحفل، فهو مشرق النور، وباعث الحياة، وعين الماء الصافية التي نلجأ إليها إذا اشتد الظمأ والدوحة المباركة التي نأوي إلى ظلها إذا قوي لفح الهجير »[1].

* * *

هكذا تحدث الشيخ العظيم - محمد مصطفى المراغي - في لحظة الانتصار - عن أستاذه العظيم الشيخ محمد عبده.. وعن ريادته لميدان إصلاح الأزهر.. والإصلاح الإسلامي على امتداد عالم الإسلام.. واصفًا إياه بأنه « الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الأزهر العامة، ويهتدي به علماء الأقطار الإسلامية في فهم روح الإسلام وتعاليمه »..

وبهذا القبس من الخلق العظيم استطاعت عبقرية الشيخ المراغي أن تنجز - في إصلاح الأزهر الشريف - ما عجز عنه الكثيرون - من السابقين واللاحقين!..

* * *
* *
*

---

(١) المنار، ج (٢)، المجلد (٣٥)، (ص ١٣٩) عدد (٢٩ من ربيع الآخر ١٣٥٤هـ/ ٣٠ من يوليو ١٩٣٥م) وانظر خطاب الشيخ المراغي كاملًا في ملحق هذه الدراسة.

(٤)

عالمية الإصلاح الديني

ولأن القرآن الكريم قد دعا جميع المؤمنين بجميع الشرائع السماوية إلى الاجتماع على كلمة سواء: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولأن رسول الإسلام وخاتم النبيين والمرسلين محمد ابن عبد اللّه ﷺ قد صور أهل هذه الشرائع في صورة الإخوة المنحدرين من أب واحد - هو دين اللّه الواحد - ومن أمهات متعددات - لتمايز الشرائع الدينية في إطار الدين الواحد - فقال: «**الأنبياء أولاد علّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[1].

لهذه الحقائق الإسلامية - في الإخاء الديني.. والزمالة الإنسانية بين المتدينين بالديانات السماوية. طمحت مدرسة الإحياء والتجديد إلى مد أواصر الإخاء الديني والزمالة الإنسانية والعالمية إلى ما وراء حدود مذاهب الإسلام.. فتحدث رائد هذه المدرسة جمال الدين الأفغاني عن اتفاق الديانات السماوية في المبدأ والغاية.. وعن أن رجال هذه الأديان، المتاجرين بها،

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد.

هم الذين حالوا بين أهل هذه الأديان وبين التقارب والالتقاء.. فقال:

« إن الأديان الثلاثة: الموسوية، والعيسوية، والمحمدية، على أتم الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحدة شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية..

وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير، أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثل ما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وأن بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة..

ولكن، لما علمت أن دون اتحاد أهل الأديان تلك الهوّات العميقة، وأولئك المرازبة[١] الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة « حانوت »، وكل طائفة كمنجم من مناجم الذهب والفضة، ورأس مال تلك التجارات ما أحدثوه من الاختلافات الدينية والطائفية والمذهبية، على حد قول الشاعر:

قد يفتح المرء حانوتًا لمتجره
وقد فتحت لك الحانوت في الدين
صيرّت دينك شاهينًا تصيد به
وليس تفلح أصحاب الشواهين[٢]

---

(١) المرازبة – ومفردها: مرزبان: الرئيس في الديانة الفارسية.

(٢) الشواهين والشياهين – ومفردها: شاهين: طائر من جنس الصقر.

علمت أن أي رجل يجسر على مقاومة التفرقة ونبذ الاختلاف، وإنارة أفكار الخلق، بلزوم الائتلاف، رجوعًا إلى أصول الدين الحقة، فذلك الرجل، هو هو يكون عندهم قاطع أرزاق المتجرين في الدين، وهو هو في عرفهم: الكافر، الجاحد، المارق، المخروق، المهرتق، المفرق... إلخ... إلخ »(١).

• وعلى هذا الدرب، شارك الإمام محمد عبده - في بيروت إبان منفاه - في تأسيس جمعية « للتأليف والتقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، وإزالة الشقاق بين أهلها، والتعاون على إزالة ضغط أوروبا عن الشرقيين، ولا سيما المسلمين منهم، وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام »(٢).

وكانت هذه الجمعية - السرية - تنطلق من « الجامع الإبراهيمي » لهذه الديانات الثلاث.. ومن التوحيد في الألوهية.. ومن رفض عبادة القديسين والأحبار والرهبان.. ومن منظومة القيم والأخلاق التي تتفق فيها وعليها هذه الديانات »(٣).

• فلما جاء الشيخ المراغي - أنجب تلاميذ هذه المدرسة الإحيائية الإصلاحية - وحمل راية الإصلاح الديني في القرن

---

(١) الأفغاني: الأعمال الكاملة، (١/ ٧٠) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت (١٩٧٩م).

(٢) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، (١/ ٨١٩، ٨٢٠) طبعة القاهرة (١٩٣١م).

(٣) المصدر السابق (١/ ٨٢٠ - ٨٢٩).

العشرين، امتدت الآفاق بجهوده الإصلاحية إلى هذا الميدان.. ميدان الزمالة الإنسانية، وضرورة تعاون رجالات هذه الديانات على ما فيه مصلحة المتدينين بها..

فإبان مشيخته للأزهر، دُعي الأزهر إلى حضور مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس - المنعقد بمدينة « بروكسل » - في شهر (جماد ثاني ١٣٥٤هـ / سبتمبر ١٩٣٥م) - فقبل الأزهر الدعوة، وأوفد إلى المؤتمر كلًّا من الشيخ مصطفى عبد الرازق (١٣٠٢ - ١٣٦٦هـ / ١٨٨٥ - ١٩٤٦م) والشيخ أمين الخولي (١٣١٣ - ١٣٨٥هـ / ١٨٩٥ - ١٩٦٦م) - الذي قدم إلى المؤتمر بحثًا نفيسًا وفريدًا عن (صلة الإسلام بإصلاح المسيحية).. وبعد عودته من المؤتمر، كتب الشيخ المراغي لهذا البحث تقديمًا علميًا ضافيًا، وطبع (١٩٣٩م)[1]..

وفي العام التالي دُعي الشيخ المراغي لحضور هذا المؤتمر - في دورته السابعة المنعقدة بلندن في (١٣ من ربيع ثاني ١٣٥٥هـ / ٣ من يوليو ١٩٣٦م)[2].. ولما حالت مشاغله - في مشيخة

---

(١) انظر الطبعة الجديدة لهذا البحث - في سلسلة التنوير الإسلامي - دار نهضة مصر (٢٠٠٦م).

(٢) وحرصًا من الشيخ المراغي على التواصل مع الدائرة الإنسانية والعالمية، أوفد الشيخ محمود شلتوت إلى مؤتمر القانون الدولي المقارن - في دورته الثانية - المنعقد بلاهاي في (جمادى الآخرة ١٣٥٦هـ / أغسطس ١٩٣٧م) - حيث قدم دراسة عن « المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية » - انظر كتابنا: (من أعلام الإحياء الإسلامي)، (ص ١٦٥، ١٦٦)، طبعة القاهرة (٢٠٠٧م).

الأزهر - بينه وبين السفر لحضور المؤتمر كتب بحثًا عن « **الزمالة الإنسانية والأخوة العالمية** » بين أهل الديانات السماوية، وعهد بإلقائه في المؤتمر إلى أخيه الأستاذ عبد العزيز المراغي - الذي كان يدرس دراساته العليا يومئذ في لندن - فترجم بحث الشيخ المراغي إلى عدد من اللغات الحية.. وأُلقي في المؤتمر..

وفي هذا « البحث - الوثيقة » طرح الشيخ المراغي رؤيته للإخاء الديني والزمالة الإنسانية والعالمية.. مؤكدًا على أن نقطة البدء في هذا الطريق هي اجتماع رجالات هذه الأديان على هذا الإخاء ووضعه في الممارسة والتطبيق، ثم دعوة أتباعهم إلى السير على هذا الطريق..

ونحن عندما نقرأ - اليوم - هذا « البحث - الوثيقة » نجد أنفسنا أمام:

- نص ينم عن فيلسوف ديني - اجتماعي..

- نص محكم، يحار المرء ماذا يقتبس منه؟ وماذا يدع؟..

- نص يؤكد على أن الزمالة العالمية هي فطرة إنسانية.. وعلى أن عوامل التفرق هي غرائز حيوانية..

- وينبه على أن التدين هو الدواء الناجع لهذا التفرق..

- وعلى أن المأمول ليس « المثالية الطوباوية »، وإنما الإصلاح الواقعي الذي « يلطف » الأجواء، و « يقلل » الشرور، ويحقق « التقارب » بين الأنظار، و « يدني » من الإخاء الإنساني..

– ويحدد أن نقطة البدء هي اجتماع رجال الدين على تحقيق الزمالة بينهم..

– كما ينبه على خطر وأهمية « المثقفين المستنيرين » الذين استبدلوا العلم والفلسفة بالدين.. وضرورة العمل على كسبهم للشعور الديني؛ لأنهم أقدر على فهم ما في الأديان من معانٍ روحية سامية..

– ويؤكد على أن العقل هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة..

– وعلى أن الإيمان لا يحل في القلب بالإكراه..

– وعلى أن العلم لا ينال إلا بالدليل..

– وعلى خطر الشهوات الجامحة، والإباحية التي يئن منها العقلاء..

– وعلى خطأ « استعارة أسماء كاذبة من مثل مصطلحات « المدنية » و « النظام » و « الحرية »، لإضفائها على الشرور التي تغمر العالم »..

– ويقول هذا النص: « لقد أصابت أهل الأديان عوامل التفريق وأغرتهم زخارف الحياة الدنيا.. وحافظوا على الجاه والرتب.. وافترى بعضهم على بعض في الدين »..

– ثم يستدرك قائلًا: « لكن قبسًا من النور لا يزال باقيًا للمتقين، وهو أن اللّـه أرحم بعباده من أن يتركهم في هذه الشرور »..

- إنه نص فريد في فلسفة الإصلاح الديني العالمي.. فيه تشخيص للحالة الدينية في العالم:

.. عوامل الصحة فيها..

.. وعوامل المرض..

وبرنامج لتحقيق المقاصد والأغراض.. أغراض الزمالة الإنسانية والعالمية بين أهل الأديان..

- ولا يقف هذا البحث الفريد عند تشخيص الحالة الدينية، وتحديد المقاصد من الإخاء الديني.. وإنما يحدد الوسائل المحققة لهذه المقاصد والأهداف..

* * *

وإذا نحن شئنا - في هذه الدراسة - إشارات شاهدة من هذا النص المتميز من نصوص «فلسفة الإصلاح الديني العالمي» إلى هذه المعالم التي أشرنا إليها.. فيكفي أن نقول إنه:

١ - قد عرض للواقع التاريخي للصراعات التي عرفها تاريخ الأديان، فقال:

«إن الإنسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاد قاس مخيف، أدار رحاه الخلاف الديني.. وإن الإنسانية لترنو في خيبة إلى آلاف من الأجيال المتمدينة لم تدنها كثيرًا من تلك الأخوة الإنسانية.. لكن المتدين، مع ذلك كله يعاوده أمله القوي، ويدرك أن تلك الذكريات المروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص في طبيعة

التدين أحدث ذلك كله، بل إن ذلك في الحق إنما سبَّبته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين، فتحكَّمت الحياة في التدين، حين كان ينبغي أن يحكم التدين في الحياة...

إن ما نال الإنسانية في عصور التدين من شر، وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي، ليس لشيء في طبيعة التدين، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني...

وها هو الرقي العقلي والنفسي قد حسم فعلًا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية، ووجه الشعور الديني توجيهًا أصلح نوعًا مما كان قديمًا. ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية».

٢ - ثم تحدث الشيخ المراغي عن العلاج القرآني لهذا الواقع التاريخي.. العلاج الذي يؤكد على وحدة الأصل الإنساني فقال:

« لقد نبَّه القرآن إلى وحدة الأبوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل، ولم يقم وزنًا لشرف المولد وكرم الجنس، ووضع معيارًا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى اللـه. وفي القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] - وطلب القرآن إلى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان، وفي القرآن الكريم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن

دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وقد عمل الرسول الأكرم محمد - صلوات اللّـه عليه - وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادئ السامية، حتى أبيح الإصهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها ».

٣ - ثم طالب الشيخ المراغي بأن تكون نقطة البدء هي تحقيق زمالة رجال الدين.. وذلك:

« بالدعوة إلى تنمية الشعور الديني المشترك، وقبلها تنمية الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذي يداهم الإنسانية لا يجيء من أديان المخالفين، وإنما يجيء من الإلحاد ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعبدها، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزؤًا ولعبًا ».

٤ - ثم رسم معالم المقاصد والأغراض المبتغاة.. فقسمها إلى معنوية.. وعملية..

« فالأغراض المعنوية هي في الإجمال: إزاحة العلل التي حالت دون تأثير الشعور الديني في تقريب ما بين الناس، وهي إما تَلَوُّنه بالشوائب المفرقة، وإما ضعفه وتحلله.

ومن هذه العوامل: ضعف الإيمان.. وأكثر ما نرى هذا بين

الطبقات التي تسمى مستنيرة ويدعوها الناس مثقفة، وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبي، وما ثار بينهما من خلاف، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى آراء في الخير والفضائل العملية وقفت بعض الأديان في سبيل الموافقة عليها، أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة إلى نواحٍ لم يوافق الدين على ترسمها...

.. ومن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الديني، وإعادته يعمّر القلوب ويملأ النفوس هيبة ورهبة من اللّـه، ورحمة ورفقًا بعباد اللّـه، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية، وأمام تيارات التقدم العقلي والتحرر الفكري. ولا شك في أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقي الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة.

ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الديني في قلوبهم، فإنهم يكونون قوة فعالة في تنمية وسائط الإخاء البشري، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم، واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معانٍ روحية سامية مجردة من المادة يصعب فهمها أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتُنِرْ طريقهم الفلسفة..

أما الأغراض العملية، فهي على الإجمال: جعل التدين أداة فعالة في تهذيب الجماعة، وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية، وتصيير الفضائل العملية التي تدعو إليها الأديان كلها نظمًا عملية..».

٥ - ثم أشار الشيخ المراغي - في بحثه هذا - إلى الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه المقاصد والأغراض.. وهي:

أ - إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد.. وذلك عن طريق:

١ - توجيه الوعظ الديني إلى الاتجاه الإنساني.

٢ - وجمع ما في كل دين من المعاني الإنسانية.. وإذاعتها وتعميمها بمختلف اللغات..

٣ - وجعل الدعاية للأديان قائمة على أساس عقلي محض..

ب - إيجاد هيئة لتقوية الشعور الديني، وبخاصة في الطبقات المستنيرة.. تعني بتأييد مركز التدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر تأييدًا يقوم على احترام العقل.. وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه التماسًا للمعرفة.. مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل، وعن الارتكاز إلى السلطة الروحية المستبدة..

ويكون لهذه الهيئة شُعب ثلاث:

١ - شعبة لتحديد ما بين العلم التجريبي والدين من علاقات ومشكلات..

٢ - وشعبة للآراء الخُلُقية والفضائل.

٣ - وشعبة لتتبع الدراسات الاجتماعية - كالاشتراكية والشيوعية - لتبين مواضع الخير والحق فيها.. ومواضع الهوى والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحياة..

جـ - العمل على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة للأديان:

- فيُقاوِم الزنا..

- وتُحمى الأسرة..

- ويُعاقَب الكذب والغيبة والنميمة والدس والوقيعة، ولو لم تُصَوَّر في جرائم مادية..

- وتُحد الحرية في التمتع وأسباب الشهوات..

- وتُحرَّم المنافسة غير الشريفة..

- وتُراقَب المكاسب المادية، ويُحَرَّم الخبيث منها..

- ويُعاقَب على الجشع والخداع والتغرير.. إلى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الإنسانية من أدناسه.

د - العمل لتأكيد الوحدة الدينية قولًا وعملًا، وإقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية ولا إلى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ.. وأنهم قوّام على تفسير الناموس الإلهي بالحق والدعوة إليه..

هـ - ويجب ألا ننسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول السياسة والاصطدام بها، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الديني والشعور بالفضيلة.

و - ثم ينتهي الشيخ المراغي إلى تقرير: أن في أصول الإسلام أقوى الدعائم التي ترتكز عليها هذه الأفكار:

- فهو يقرر أنه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .. ويقول للرسول - صلوات اللّـه عليه -: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]..

- ويقرر أن الدعوة إلى اللّـه تكون بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]..

- ويخاطب العقل وينبه إلى التفكير فيما خلق اللّـه..

- ويرفع العلم والعلماء..

- ويقول نبي الإسلام: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1].. ويقول اللّـه تعالى: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

- ويحث على البر والرحمة، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء، بل وعلى الرفق بالبهائم، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة في بيت المال.. وجعل للفقراء حقًا لازمًا مفروضًا في أموال الأغنياء..

- وجعل الجناية على نفسٍ واحدةٍ جناية على الإنسانية كلها..

---

(١) رواه مالك في (الموطأ).

- ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام..

* * *

هكذا تفتقت العبقرية الدينية.. والفلسفية.. والاجتماعية لهذا المصلح الديني العظيم - الشيخ محمد مصطفى المراغي - عن هذا البحث النفيس في الزمالة الإنسانية والعالمية، لتحقيق الإخاء الديني بين رجالات الأديان.. ولتحقيق التعرف والتعاون بين المؤمنين بهذه الأديان.. ولإعادة هذه الأديان إلى مكانها من هداية الإنسان وقيادة المجتمعات الإنسانية على طريق الحق والخير والرخاء..[1].

* * *
* *
*

(١) انظر جميع ما أشرنا إليه في نص بحث الشيخ المراغي عن (الزمالة الإنسانية) بملحق هذه الدراسة.

لكن...

.. في ختام هذه الإشارات إلى ما كتبه الشيخ المراغي عن (الزمالة الإنسانية).. من الحق أن نسأل:

- هل استجاب الآخرون إلى شيء من هذا الذي دعا إليه الشيخ المراغي؟!

- هل اقترب رجالات الأديان من الإخاء الديني؟!

- وهل اقتربت الإنسانية من هذه الأغراض المعنوية.. والعملية التي تحدث عنها هذا المصلح الديني العظيم؟!..

* * *

إننا نخشى أن تكون الإجابات بالنفي الأكيد!..

• لقد عقد المنصّرون الأمريكان مؤتمرهم في «كولورادو» - (مايو ١٩٧٨م).. وقرروا - في توصياته المعلنة -:

«إن الإسلام - منذ ظهوره في القرن السابع - قد مثل تحديًا لكنيسة.. يسوع المسيح[1].. وأن هذا الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. وأن النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيًا وسياسيًا.. إنه حركة دينية معادية للنصرانية، مخططة تخطيطًا يفوق قدرة البشر!.. ونحن بحاجة إلى

---

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي، أبحاث ومناقشات مؤتمر كولورادو، الترجمة العربية (ص٣٢٩)، طبعة مالطا (١٩٩١م).

مئات المراكز، تؤسس حول العالم، بواسطة النصارى، للتركيز على الإسلام. ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام، وللتعامل النصراني مع الإسلام، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء »[١]!

• وفي الفاتيكان - على عهد البابا يوحنا بولس الثاني (١٩٧٨ - ٢٠٠٥م) صرح الكاردينال « بول بوبار » مساعد البابا.. ومسؤول المجلس الفاتيكاني للثقافة - فقال:

« إن الإسلام يشكل تحديًا بالنسبة لأوروبا وللغرب عمومًا. وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيرًا ضليعًا كي يلاحظ تفاوتًا في معدلات النمو السكاني في أنحاء معينة من العالم، ففي البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجي، بينما يحدث العكس في البلدان الإسلامية. وفي مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمجًا بشكل ما؟!

إن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف »[٢]!

• كما أعلن المونسنيور « جوزيبي بارناديني » - بحضرة بابا الفاتيكان (١٩٩٩م):

---

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي، أبحاث ومناقشات مؤتمر كولورادو، الترجمة العربية (ص١٢٣)، طبعة مالطا (١٩٩١م).

(٢) من حديث لصحيفة (الفيجارو) الفرنسية - والنقل عن صحيفة (الشرق الأوسط)، لندن، عدد (١- ١٠ - ١٩٩٩م).

« إن العالم الإسلامي سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط.. وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول المسيحية، بما في ذلك روما عاصمة المسيحية. فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجًا واضحًا للتوسع، وفتحًا جديدًا؟! »[1].

• أما البابا الحالي للفاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - فهو الذي أعلن - في محاضرته الشهيرة بجامعة « ريجنسبورج » الألمانية - بمدينة « رايتسبون » - في (١٢ من سبتمبر ٢٠٠٦م):

- أن رسول الإسلام ﷺ لم يأت إلا بكل ما هو شرّير ولا إنساني.. ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!..

- وأن الإيمان الإسلامي هو إيمان وثني أعمى، لا علاقة له بالعقل والمنطق!..

- ووصف آيات القرآن بأنها « تعليمات أوامر اللئام »!![2].

ولما غضب المسلمون من هذا الذي قال البابا.. اتهمهم بإساءة فهم ما قال!!

* * *

فهل في أيٍّ من هذه « المواقف ».. و « الأحكام ».. و « التصريحات » - من قبل رجالات النصرانية الغربية -

---

(١) صحيفة (الشرق الأوسط)، لندن عدد (١٣ - ١٠ - ١٩٩٩م).

(٢) انظر النص الكامل للمحاضرة في صحيفة (وطني) المسيحية، القاهرة، عدد (٢٤ - ٩ - ٢٠٠٦م)..

ومثلها كثير - أدنى استجابة.. أو حتى ظلال استجابة.. أو شبهة استجابة لهذا الذي تحدث عنه الشيخ المراغي في بحثه النفيس عن الزمالة الإنسانية.. والإخاء الديني.. الذي يجب أن يبدأ برجال الديانات السماوية؟!..

• ومع وضوح الإجابة.. وتعين الجواب.. فإننا نقول:

إنه لا مفر من الإلحاح على هذا الذي دعا إليه الشيخ المراغي.. والذي سبق إليه القرآن الكريم قبل كل دعوات الدعاة..

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟

فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ

[آل عمران: ٦٤]..

ملحق وثائقي

١- إصلاح الأزهر الشريف: مذكرة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر.

٢- خطبة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي في حفل تكريمه عند عودته لمشيخة الأزهر في (١٩٣٥م)..

٣ - رسالة الزمالة الإنسانية: البحث الذي بعث به الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي - شيخ الأزهر - إلى المؤتمر العالمي للأديان - بلندن (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م).

(١)

إصلاح الأزهر الشريف

مذكرة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي شيخ الأزهر(١)

أوجب الدين الإسلامي على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه إلى الناس: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وأوجب اللّه على نبيه ﷺ أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة إليه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعي إلى نشر الدين وإقناع العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزعات الإلحاد وشُبه المضلين.

وفي الكتاب الكريم آيات كثيرة تحثُّ على النظر في الكون وعلى فهم ما فيه من جمال ودقة صنع، وقد لفت النظر إلى ما في العالم الشمسي من جمال باهر وصنع محكم، ولفت النظر إلى ما في الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والأعمال التي لها غايات محدودة، وأشار إلى سير الأولين، وحث القرآن على العلم وفاضَلَ بين العلماء والجهال وأعمال السلف

---

(١) المنار، ج (٥)، مجلد (٢٩)، (ص ٣٢٥ - ٣٣٥) عدد (٣٠ من ربيع الأول ١٣٤٧هـ/ ١٤ من سبتمبر ١٩٢٨م).

الصالح، وسير العلماء لا تدع شبهة في أن الدين الإسلامي يطلب من أهله السعي إلى معرفة كل شيء في الحياة.

وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله، فخلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات في جميع فروع العلم، ودرسوا أصول المذاهب في العالم ودرسوا الديانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفًا في زمنهم، وكتبوا المقالات في الرد على جميع الفرق، وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة في البحث، وكان الاجتهاد غاية يسعى إليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له.

ولكن العلماء في القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لا مطمع لهم في الاجتهاد فأقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث. وجهلوا ما جد في الحياة من علم وما جدَّ فيها من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس فلم يؤدُّوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له وأصبح الإسلام بلا حملة وبلا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين.

في الدين الإسلامي عبادات وعقائد وأخلاق، وفقه في نظام الأسرة، وفقه في المعاملات؛ مثل البيع والرهن، وفقه في الجنايات.

وقد عرض الدين الإسلامي لغيره من الأديان وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان، وأشار إلى بعض الأمور الكونية في النظام الشمسي والمواليد الثلاثة من جماد ونبات وحيوان.

وقد هوجم الإسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة. هوجم من أتباع الأديان السابقة، وهوجم من ناحية العلم، وهوجم من أهل القانون.

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدًّا تتطلب معلومات كثيرة: تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها، ومعرفة ما في الأديان السابقة ومعرفة ما يجدُّ في الحياة من معارف وآراء، ومعرفة طرق البحث النظري وطرق الإقناع، وتتطلب فهم الإسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهمًا صحيحًا، وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع.

والأمة المصرية أمة دينها الإسلام فيجب عليها وهي تجاهر بذلك أن ترقي تعليمه ليرقي حملته ويكونوا حفاظًا ومرشدين يدعون الناس إليه.

ولا يوجد دواء أنجع من الدين لإصلاح أخلاق الجماهير، فإن العامة تتلقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لا تحتاج إلى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب جذاب إلى الفضيلة بعمله ويحسن بصره في تصريف القول في مواضعه.

ولذلك كان الدعاة إلى الفضيلة قديمًا وحديثًا يلجأون إلى الأديان يتخذونها وسائل للإصلاح، بل إن كان دعاة المذاهب السياسية وحملة السيوف لم يجدوا بدًّا من الرجوع إلى الأديان وصبغ دعواتهم بها، كل ذلك لأن حياة المجتمعات لا تدين لنوع واحد من أنواع الإصلاح إلا إذا صيغ بصبغة دينية يكون قوامها الإيمان.

والأمة المصرية، بل والأمم الشرقية جمعاء، تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والإقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات، وضعفت الروابط بين الجماعات فلم يعد الفرد يشعر بآلام الآخرين ومصائبهم. وقد أثرت الحياة الفردية في حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الأمم ورضيت من المكانة بأصغر المنازل.

وقد أرى أن الأمة المصرية وهي تريد النهوض والمجد وتتطلع إلى حياة سياسية راقية يجب عليها أن تتذكر دينها وتلتفت إلى حملة ذلك الدين فتصلح شأنهم وترقي تعليمهم، وتضعهم في المكانة اللائقة بالمرشدين، والتي يجب أن يكون عليها حملة الدين. أما إهمال هذه الناحية والسعي إلى ترقية النواحي الأخرى من حياة الأمة، فلا أرى أنه يوصل إلى الغرض المقصود، فالخُلق هو العمود الفقري للأمم لا يمكنها أن تنهض بغيره، وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين إذا أصلح تعليمه وهذب دعاته.

وقد كان الأزهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية

وغيرها إلى البلاد الإسلامية، وقد أصابه ما أصاب غيره في الشرق من خمول وضعة فيجب على الأمة المصرية، وهي تحمل راية الأمم الإسلامية ، أن تُنقي هذا المصباح (الأزهر) من الأكدار وأن توجد له جهازًا قويًا يستمد نوره منه على طريقة تتناسب مع ما جدَّ في العالم من أطوار في العلم وفي التفكير وفي الحوار والتخاطب وفي طرق الاستدلال والبحث. والدولة تنفق على الأزهر قدرًا عظيمًا من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه، ولا تستطيع أيضًا أن تلغي الأزهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى، فالحاجة إلى إصلاح الأزهر واضحة لا تحتمل نزاعًا ولا جدلًا.

وإني أقرر مع الأسف أن كل الجهود التي بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في إصلاح التعليم، وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه. وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الأزهر أن يغير التعليم في المعاهد وأن تكون الخطوة إلى هذا جريئة يقصد بها وجه اللَّه تعالى فلا يبالي بما تحدثه من ضجة وصريخ فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة.

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة، وأن تدرس السنة دراسة جيدة وأن يُفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعاني وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يبتعد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية.

يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى مما جد فيها وابتدع،

وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الإسلام الصحيحة.

يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عنها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء.

يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الإسلامي ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره في مواطن الاختلاف، ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها وأسباب التفرق، وتاريخ الفرق الإسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها.

يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها وكل المسائل العلمية في النظام الشمسي، والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن في الآيات التي أشارت إلى ذلك.

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف، وأن يضاف إلى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها.

يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية

على طريقة التأليف الحديثة، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة (في عصور الإسلام الزاهرة) والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية. وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ما هو قطعي فيه محافظة تامة، وأن تهذب الأساليب ويهذب كل ما حدث بالاجتهاد؛ بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق لمصلحة العباد.

يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين؛ لأن رسالة النبي ﷺ عامة ودينه عام. ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والأمكنة المختلفة، وإن لم يفعل هذا فإنه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الأمم الإسلامية، وكما حصل في الأمة المصرية نفسها؛ إذ تركت الفقه الإسلامي لأنها وجدته بحالته التي أوصله إليها العلماء غير ملائم، ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والحرج لما تركته إلى غيره؛ لأنه يرتكن إلى الدين الذي هو عزيز عليها.

ولست أنسى أن هذه الدراسة التي أسلفت بيانها دراسة شاقة تحتاج إلى مجهود عظيم وتحتاج إلى رجال قد لا نجدهم في طائفة العلماء، وتحتاج إلى مال يكافأ به العاملون، ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف في طريقه وتوجب علينا السخاء والبذل؛ لأننا نريد إصلاح أعز شيء على نفوس الجماهير، ونريد بهذا الإصلاح تقويم هذه الأمة ونهوضها.

وليس من السهل أن يكلف شخص واحد بهذه الدراسة على اختلاف أنواعها؛ بل من الواجب أن يفكر في طريقة التقسيم وجعل الدراسة أقسامًا وأنواعًا متميزة.

وبعد هذا أستطيع أن أضع أسسًا إجمالية للنظام الذي أبغي أن يكون عليه الأزهر والمعاهد الدينية.

- يجب أن يقسم التعليم الديني إلى قسمين:

قسم يحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه وتبين لهم حقوقهم والغايات التي تراد منهم والأعمال التي تسند إليهم من أعمال الدولة، وهذا هو القسم الذي سيكون موضع العناية ومكان الرجاء والأمل.

وقسم لا يحدد عدده ولا ترتب درجات التعليم فيه ولا يكون له شيء من الحقوق في أعمال الدولة، وإنما الغاية من وجوده هو سد حاجة من يريد التفقه في دينه ومعرفة اللغة العربية ليخرج من الجهالة إلى نور العلم ويقنع بالعلم نفسه، وتوضع لهذا القسم نظم لا يقصد منها أكثر من مراقبة الأخلاق، ومن تعليم أفراده تعليمًا صحيحًا بعيدًا عن العقائد الفاسدة موصلًا إلى روح الدين موصلًا إلى خلق قويم.

والقسم الأول تجعل درجات التعليم فيه ثلاثًا فيكون ثلاثة أقسام:

١ - القسم الأوّلي مدته خمس سنوات.

٢ - القسم الثانوي مدته خمس سنوات.

٣ - القسم العالي مدته خمس سنوات.

والتعليم في القسمين الأولي والثانوي يكون عامًا على مثال التعليم في المدارس الأميرية ويعلم فيهما كل ما يعلم في المدارس الأميرية ما عدا اللغات، وتعلم فيهما علوم الأزهر الأصلية بالقدر المؤهل لدخول الأقسام العالية تعليمًا لا يكون قوامه حفظ الدروس، وإنما يكون قوامه فهم العلم والمران على البحث والتدليل وتربية الملكات. وقد يلاحظ أن المدة لا تحتمل تعليم علوم الأزهر وتعليم ما يدرس في المدارس الأميرية، ولكن هذه الملاحظة تزول إذا لوحظ أن الطالب في المعاهد يؤخذ في سن عالية عن سن التلميذ في المدارس الأميرية، ويغلب أن يكون ألمَّ بكثير من المعلومات في المدارس الأولية، وأن يكون حافظًا للقرآن فاستعداده وسنه يسمحان له بأن يحتمل هذا المقدار الذي يراد أن يعلمه، على أن الشروط التي توضع لقبول التلاميذ في القسم الأولي كفيلة بإبعاد من لا يقوى على احتمال هذه الدراسة. ويقسم التعليم العالي إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم اللغة العربية.

٢ - قسم الفقه.

٣ - قسم الإرشاد والدعوة.

ويجب أن يلاحظ أني حيث أعرض لهذه الأقسام وحيث أبين

ما يدرس فيها فإني أضع رسمًا إجماليًا قابلًا للتهذيب، وأترك تفصيله إلى أن يحين وقت التفصيل فتؤلف له لجان فنية:

أما القسم الأول فتدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضع وعلوم البلاغة وأدب اللغة العربية وتاريخ الآداب وعلمَ النفس والتربية، ويعلم التلاميذ فيه بعض اللغات التي لها اتصال وثيق باللغة العربية، ويدرس فيه الكتاب والسنة من حيث اتصال اللغة العربية بهما ومن حيث اتصالهما بآدابها.

وأما القسم الثاني فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة، وبخاصة من ناحية الأحكام الفقهية. ويدرس أصول الفقه، وتقارن المذاهب الإسلامية بعضها ببعض مع عرض الأدلة، ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل والعرف والعادة ومن جهة المصالح العامة، وتقارن المذاهب الإسلامية بالقواعد العامة في أصول القوانين، ويدرس تاريخ التشريع الإسلامي وما يلزم للقاضي والمحامي من نظم القضاء والإدارة وقوانين المرافعات.

وأما القسم الثالث فيدرس فيه المنطق والتوحيد الإسلامي والأخلاق والفلسفة قديمها وحديثها، وتاريخ الأديان والمذاهب مع مقارنتها بالدين الإسلامي، ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة وبخاصة من ناحية طرق الهداية والإرشاد.

وبعد ذلك أنتقل إلى الغاية من هذا التعليم النظامي وسأجد نفسي مضطرًا إلى شيء من الإطالة في القول:

عندما فكرت الحكومة المصرية في إنشاء مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة اللغة العربية في المدارس الأميرية كان العلماء في الأزهر لا يعنون إلا بدراسة القواعد وفلسفتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق، وبدراسة الألفاظ وخدمة عبارات المؤلفين، ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها!! يشهد بذلك أن أسلوب الكتب المؤلفة في تلك الأيام بعيد كل البعد عن اللغة، ويشهد بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم ولا تزال منهم بقية إلى اليوم. وكان العلماء أيضًا لا يدرسون شيئًا من العلوم العامة؛ كالتاريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان. وكانوا يحافظون على ما هم عليه أشد المحافظة ولا يرون الخير إلا فيما هم فيه، فلم تكن معلوماتهم العامة ولا طرائق تعليمهم مؤهلة لتوليهم تعليم النشء في المدارس الأميرية على النحو الحديث.

وعندما فكرت الحكومة في إنشاء مدرسة القضاء الشرعي، كان الأزهر على النحو الذي وصفته، وكان فيهم علماء يحرمون تقويم البلدان والتاريخ والحساب، ويكتبون مقالات في الجرائد ضد هذه العلوم، وكان ولاة الأمور يشكون من أن القضاة لا يعرفون الأرقام ولا يعرفون طرق التوثيق ولا يعرفون من العلوم العامة ما يجب أن يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس. وقد بدل اللّه هذه الأحوال وأصبح قانون الأزهر مشتملًا على ضعفي العلوم التي كانت تدرس من قبل، وأصبح يدرس فيه التاريخ الطبيعي

وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء، ويدرس فيه الجبر والهندسة، وقبل الأزهر في قسم تخصص القضاء الشرعي دروسًا في وظائف الأعضاء ودروسًا في التشريح. قَبِلَ الأزهريون كل جديد وأعدوا أنفسهم له وزالت كل العقبات التي كانت من قبل، ولم يبق إلا إصلاح طرق التعليم وإيجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعًا صحيحًا. وإذا كانت هناك بقية تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ما تستطيع معه أن تكون عقبة في طريق الإصلاح.

في الدولة الآن مدارس متعددة بنوعٍ واحد من التعليم: فيها دار العلوم لتعليم اللغة، وفيها الأزهر وكل المعاهد لعلوم اللغة، وفيها مدرسة القضاء الشرعي للفقه ونظم القضاء، وفيها الأزهر للفقه ونظم القضاء، وفيها تجهيزية دار العلوم. وفي الأزهر أقسام تماثلها.

تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها، ومن الممكن أن تقتصد في هذه النفقات، ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها إلى بعض وتوحد جهودها لتخرج أمثلة أحسن من هذه الأمثلة.

في الدولة أشكال مختلفة من العلماء تخرجوا في مدارس مختلفة يحسد بعضهم بعضًا وينقم بعضهم على بعض، ولهذا أثره في إفساد الأخلاق.

لِمَ لا يحملنا هذا كله على التفكير في توحيد الجهود وتوحيد

النفقات ونجعل قسم اللغة منبع علماء اللغة العربية لجميع مدارس الدولة والأزهر. وتخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء، فتكون ينبوعًا للقضاة والمحامين والمفتين وتُلغى تجهيزية دار العلوم والقضاء.

أول ما يعترضنا في هذا أن مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة إليها، وقد حققت الآمال فيها فأخرجت للدولة علماء أحيوا اللغة العربية وآدابها بعد أن كادت تدرس، وكانوا من أهم الأسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها إلى الناس، بينما الأزهر ضعف التعليم فيه، وأصبح محلًا لشكوى الأمة وشكوى أهله أنفسهم، وليس من الحكمة بناءً على الآمال في الأزهر أن نميت مدرسة محققة للفائدة، وكذلك الحال في مدرسة القضاء.

ولكنا على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة ما يأتي: قد كان الأزهر منفصلًا عن الحكومة في الماضي انفصالًا تامًا، فلم تكن له بها علاقة إلا بمبلغ يسير في الرزنامه كان حقًا له عليها، ولم يكن للحكومة إشراف عليه وقد تبدل الحال فصارت ميزانية الأزهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية وبعضها من وزارة الأوقاف، وصار لرئيس الدولة حق الإشراف عليه وصار مسؤولًا عنه أمام البرلمان، وأصبح من اليسير على الأمة والحكومة أن تعرف فيمَ تنفق الأموال وبأيّ شيءٍ تشتغل المعاهد وعلى أيّ نحوٍ تسير.

ثم إن اندماج دار العلوم والقضاء سيقضي حتمًا إلى إدخال

أساتذة المدرستين في الأزهر وإلى وجود الصلة التامة بينهم وبين العلماء، فهذه الصلة التي من شأنها أن توجد تماس الأفكار ستنتج نتائجها الحسنة في إحسان الدراسة، وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم في مجالس الإدارة والمجلس الأعلى، وفي التفتيش على المعاهد. وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التي تطمئن النفوس إلى أن المعاهد لا ترجع القهقرى.

هذا الذي قلته مضافًا إلى توحيد التعليم وتوحيد النفقات وتجانس العلماء في الدولة من شأنه أن يحملنا على المضي في هذا الطريق.

وتختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكلمة لا بد لي من التصريح بها: لست أرجو للقضاء الشرعي خيرًا من هذه المدرسة على نظامها الجديد، وقد كان نظامها منذ أنشئت إلى سنة (١٩٢٣م) خيرًا من هذا النظام الجديد.

ذلك أننا حتى اليوم ليس لنا مراجع في القضاء إلا تلك الكتب المؤلفة في القرون الماضية، وهي كتب معقَّدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية وإنما يفهمها من مارسها ومَرنَ على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها. وأيضًا فإن العلوم الشرعية التي يحتاج إليها القاضي مشتبكة يستمد بعضها من بعض، ولا غنى للفقيه عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفقه. ونظام المدرسة الجديد قطع الصلة أو أضعفها بين تلاميذ مدرسة القضاء

وبين الكتب القديمة. فالتلاميذ الذين يتخرجون من التجهيزية وينقلون إلى مدرسة القضاء ليس لهم من المؤهلات ما يعدهم لتفهم تلك الكتب وإلى هضم تلك المعلومات التي وضعت لهم في البرنامج.

ولست أدافع الآن عن الكتب القديمة (بل وأرجو من الله أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها) وإنما أدافع عن الموجود الذي قضت الضرورة بوجوده فنحن في حاجةٍ إلى رسل بين القديم والحديث، وأولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثًا جيدًا، فلا بد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة، وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك في أسلوبٍ حديث؛ ولذلك فإنه يجب أن يراعى في النظام الجديد للأزهرِ عدم اهمال طرقه الأصلية في البحث وفهم الكتب.

أما المدرسة - على نظامها - منذ أنشئت إلى سنة (١٩٢٣م) فإنها تستحق الثناء ولا أجد ما أعيبها به. ولكن أستطيع القول بأن تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الإدارة يخرج للأمة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم.

وقد أشير في تقرير لجنة إصلاح الأزهر سنة (١٩٢٤م) إلى شيء من المقارنة بين القضاة خريجي الأزهر والقضاة خريجي المدرسة، ويحسن الرجوع إليه، لأنه يفيد فيما نحن بصدده.

وخلاصة ما أسلفته: أن تندمج تجهيزية دار العلوم والقضاء

ومدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم في المعاهد، على أن توضع قواعد وقتية لهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها الموجودة فيها الآن.

أما امتيازاتهم فهي كما يأتي:

- علماء اللغة العربية يكونون أساتذة في الأزهر والمعاهد الدينية، وفي جميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات.

- علماء الفقه يكونون أساتذة العلوم الشرعية في الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة.

- وعلماء فرقة القضاة يكونون قضاة ومحامين ومفتين وأساتذة أيضًا.

- وعلماء الإرشاد والدعوة يكونون أساتذة في الأزهر والمعاهد، ويكونون خطباء وأئمة ووعاظًا ومرشدين.

أما شهادة القسم الأولي فليس لها شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثانوي، وأما شهادة القسم الثانوي فتؤهل صاحبها للأقسام العالية وتؤهله لوظائف الكتابة في المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية.

وقد ينظر بعد في علاقة هذا القسم وبعض الأقسام العالية بالجامعة المصرية إذا أراد واحد من حاملي شهاداتها دخول الجامعة المصرية في بعض أقسامها.

وقد يصح أن يقال: لندع دار العلوم ومدرسة القضاء تمضيان في طريقهما، ولنصلح الأزهر على هذا النحو الذي أشير إليه،

وبين الكتب القديمة. فالتلاميذ الذين يتخرجون من التجهيزية وينقلون إلى مدرسة القضاء ليس لهم من المؤهلات ما يعدهم لتفهم تلك الكتب وإلى هضم تلك المعلومات التي وضعت لهم في البرنامج.

ولست أدافع الآن عن الكتب القديمة (بل وأرجو من اللّـه أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها) وإنما أدافع عن الموجود الذي قضت الضرورة بوجوده فنحن في حاجةٍ إلى رسل بين القديم والحديث، وأولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثًا جيدًا، فلا بد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة، وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك في أسلوبٍ حديث؛ ولذلك فإنه يجب أن يراعى في النظام الجديد للأزهرِ عدم اهمال طرقه الأصلية في البحث وفهم الكتب.

أما المدرسة – على نظامها – منذ أنشئت إلى سنة (١٩٢٣م) فإنها تستحق الثناء ولا أجد ما أعيبها به. ولكن أستطيع القول بأن تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الإدارة يخرج للأمة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم.

وقد أشير في تقرير لجنة إصلاح الأزهر سنة (١٩٢٤م) إلى شيء من المقارنة بين القضاة خريجي الأزهر والقضاة خريجي المدرسة، ويحسن الرجوع إليه، لأنه يفيد فيما نحن بصدده.

وخلاصة ما أسلفته: أن تندمج تجهيزية دار العلوم والقضاء

ومدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم في المعاهد، على أن توضع قواعد وقتية لهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها الموجودة فيها الآن.

أما امتيازاتهم فهي كما يأتي:

- علماء اللغة العربية يكونون أساتذة في الأزهر والمعاهد الدينية، وفي جميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات.

- علماء الفقه يكونون أساتذة العلوم الشرعية في الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة.

- وعلماء فرقة القضاة يكونون قضاة ومحامين ومفتين وأساتذة أيضًا.

- وعلماء الإرشاد والدعوة يكونون أساتذة في الأزهر والمعاهد، ويكونون خطباء وأئمة ووعاظًا ومرشدين.

أما شهادة القسم الأولي فليس لها شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثانوي، وأما شهادة القسم الثانوي فتؤهل صاحبها للأقسام العالية وتؤهله لوظائف الكتابة في المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية.

وقد ينظر بعد في علاقة هذا القسم وبعض الأقسام العالية بالجامعة المصرية إذا أراد واحد من حاملي شهاداتها دخول الجامعة المصرية في بعض أقسامها.

وقد يصح أن يقال: لندع دار العلوم ومدرسة القضاء تمضيان في طريقهما، ولنصلح الأزهر على هذا النحو الذي أشير إليه،

وليس هناك ضرر في وجود مدارس متعددة صالحة، غير أن ما أشرت إليه بالنسبةِ لمدرسةِ القضاء يحملنا على عدم السكوت على نظامها الحاضر، وما أشرت إليه بالنسبة للغاية العظيمة التي ننشدها من توحيد التعليم وتجانس العلماء، ومن الفائدة التي تعود على المعاهد نفسها من إدخال العناصر القوية في اللغة العربية وهم علماء دار العلوم إلى الأزهر يجعلنا نفضل طريق التوحيد على طريق التعدد.

وهناك أمر لا يصح الإغضاء عنه. ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتجهيزية دار العلوم مؤثرٌ في الأزهر والمعاهد من حيث الرغبة فيهما؛ لأن نتيجة الأزهر (إذا لم يخرج قضاة ومحامين وعلماء للغة العربية في مدارس الحكومة) تقتصر على إخراج علماء للمعاهد وخطباء للمساجد، وهي نتيجة غير مرغبة، ومن شأنها أن تجعل التعليم الديني في المعاهد مقصورًا على بعض الطبقات التي ليس لها في الحياة آمال سامية. وهذه الطبقات وحدها قد لا تؤمن على هذه الوديعة، وديعة الخلق الديني والثقافة الإسلامية. ومن الواجب ألا يغيب عنا ونحن نتقدم لتهذيب التعليم الديني وتقويم أخلاق الأمة أن نشجع الطبقات الراقية على الدخول في هذه المعاهد لتقوم بما يُطلب منها من العناية بالأخلاقِ.

وأمر آخر وهو أن سلب الامتيازات القديمة التي كانت للأزهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام

الرأي العام داخل الدولة المصرية وخارجها في الأقطار الأخرى في سمعة الأزهر والمعاهد، ومن واجب الدولة المصرية أن تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم، وأن ترد إليه مجده فإنه واسطة اتصال وثيق بين الأمة المصرية وغيرها من الأمم. وإذا أحسن استخدام هذه الوساطة عادت بفائدة أدبية ذات قيمة على الشعب المصري.

ومتى تم تنظيم الأزهر وأخذ مكانته فستعود إليه ثقافة الأمم الإسلامية وتطلب منه علماء ومرشدين خصوصًا إذا عُلِّمت فيه اللغات التي يحتاج إليها المرشد إذا ذهب إلى بلدٍ من البلاد الإسلامية.

هذا هو مجمل رأيي في إصلاح المعاهد والتعليم الديني، أقدمه خاليًا من التفاصيل، حتى إذا ما صادف قبولًا واتفق على النقط الأساسية فيه أمكن أن نشرع في تأليف اللجان الفنية التي تبحث أجزاء المشروع، وأمكن بعد ذلك أن نرجع إلى القوانين لإصلاحها.

وقبل أن أختم كلمتي هذه أشير إلى أن من الممكن إيجاد كل الضمانات لحسن سير التعليم، وذلك بتأليف مجالس الإدارة ومجلس الأزهر الأعلى على وجهٍ تُمثل فيه وزارة المعارف تمثيلًا قويًا، وبأن يكون قسم التفتيش على اللغة العربية والعلوم الحديثة مشتملًا على رجال يكون لوزارة المعارف رأي في اختيارهم، بل ويمكن أيضًا أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات.

ولا بد أيضًا من أن أصرّح بأن الأزهر لا ينبغي أن يُعنى

بإخراج معلمين للمدارس الأولية، وسننظر في إنهاء الدراسة الخاصة بالتعليم الأولي.

كما أنه لا بد لي أيضًا من الإشارة إلى وجوب إلغاء قانون التخصص؛ فقد دلت التجارب على عقم نتائجه، ولذلك أسباب كثيرة قد يحسن عدم الإفضاء بها، وأيضًا فإن النظام الذي أشرت إليه وهو نظام تقسيم الدراسة العالية سيضمن تخريج علماء لهم تفوق في علوم الأقسام التي يدخلونها.

وأسأل اللَّـه أن يُهيّئ للأزهر والمعاهد طريق الفلاح والنجاح في ظل مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول، وأن يوفق رجال دولته إلى عملِ الخيرِ لهذه الطائفة وللأمة المصرية جمعاء.

* * *
* *
*

(٢)

خطبة الأستاذ الأكبر في حفلة تكريمه[1]

حضرات السادة الأعزاء..

أحمدُ اللَّـه - جل شأنه - على ما أَوْلانيه من الكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم، وأشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرمهم، وعاطفة الحب الفياض البادية في قولهم وفعلهم، في شعرهم ونثرهم، ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم.

ويسهل علي قبول هذه المنن كلها واحتمالها إذا أذنتم لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف، واعتبارها كلها موجهة إلى الأزهر الشريف، الذي تجلونه جميعًا وتعتبرونه بحقٍّ شيخ المعاهد الإسلامية في مصر وغيرها من البلاد.

ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الأول على غرض التكريم فقد دل بالإشارة والتبع على معانٍ أسمى من غرض التكريم.

دل على أن الأزهر خرج عن عزلته التي طال أمدها، ونهض يشارك الأمة في الحياة العامة وملابساتها، وعزم على الاتصال

---

(١) المنار، ج (٢)، مجلد (٣٥)، (ص ١٣٨ - ١٤٢)، عدد (٢٩ من ربيع الآخر ١٣٥٤هـ/ ٣٠ من يوليو ١٩٣٥م).

بها ليفيد ويستفيد، وهذه ظاهرة من ظواهر تغيير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه، وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف، وطرائق في التعليم يجب أن نحتذي ونهتدي بها. ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره على شرط أن نكتم الأمر لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة، والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة، وتدرس الملل والنحل، وتقارن الديانات، وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية.

ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة والحديث حديث الأزهر والأزهريين، ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الأزهر العامة ويهتدي به علماء الأقطار الإسلامية في فهم روح الإسلام وتعاليمه، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم، وعبَّد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يُبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الأخلاق، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ، ذلك هو الأستاذ الإمام (محمد عبده) قدس اللّـه روحه وطيب ثراه، وقد مر على وفاته ثلاثون حولًا كاملًا،

(٢)

خطبة الأستاذ الأكبر في حفلة تكريمه[1]

حضرات السادة الأعزاء..

أحمدُ اللّـه - جل شأنه - على ما أَوْلانيه من الكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم، وأشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرمهم، وعاطفة الحب الفياض البادية في قولهم وفعلهم، في شعرهم ونثرهم، ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم.

ويسهل علي قبول هذه المنن كلها واحتمالها إذا أذنتم لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف، واعتبارها كلها موجهة إلى الأزهر الشريف، الذي تجلونه جميعًا وتعتبرونه بحقٍّ شيخ المعاهد الإسلامية في مصر وغيرها من البلاد.

ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الأول على غرض التكريم فقد دل بالإشارة والتبع على معانٍ أسمى من غرض التكريم.

دل على أن الأزهر خرج عن عزلته التي طال أمدها، ونهض يشارك الأمة في الحياة العامة وملابساتها، وعزم على الاتصال

(١) المنار، ج (٢)، مجلد (٣٥)، (ص ١٣٨ - ١٤٢)، عدد (٢٩ من ربيع الآخر ١٣٥٤هـ/ ٣٠ من يوليو ١٩٣٥م).

بها ليفيد ويستفيد، وهذه ظاهرة من ظواهر تغيير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه، وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف، وطرائق في التعليم يجب أن نحتذي ونهتدي بها. ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره على شرط أن نكتم الأمر لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة، والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة، وتدرس الملل والنحل، وتقارن الديانات، وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية.

ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة والحديث حديث الأزهر والأزهريين، ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الأزهر العامة ويهتدي به علماء الأقطار الإسلامية في فهم روح الإسلام وتعاليمه، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم، وعبَّد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يُبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الأخلاق، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ، ذلك هو الأستاذ الإمام (محمد عبده) قدس اللـه روحه وطيب ثراه، وقد مر على وفاته ثلاثون حولًا كاملًا،

ومن الوفاء بعد مضي هذه السنين ونحن نتحدث عن الأزهر أن نجعل لذكراه المكان الأول في هذا الحفل، فهو مشرق النور وباعث الحياة، وعين الماء الصافية التي نلجأ إليها إذا اشتد الظمأ، والدوحة المباركة التي نأوي إلى ظلها إذا قوي لفح الهجير.

الأزهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التي يدرس فيها الدين الإسلامي الذي أوجد أممًا من العدم، وخلق تحت لوائه مدنية فاضلة، وكان له هذا الأثر الضخم في الأرض، فهو يوحي بطبعه إلى شيوخه وأبنائه واجبات إنسانية، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية، يعدون مقصرين آثمين أمام اللّه وأمام الناس إذا هم تهاونوا في أدائها، وإنهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم ولمعهدهم وأنفسهم إلا إذا فهموا هذا الدين حق فهمه، وأجادوا معرفة لغته، وفهموا روح الاجتماع، واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة إليه مما هو متصل بالدين، أصوله وفروعه، وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بآراء العلماء والاستزادة من العلم، وتمكنهم من نشر الثقافة الإسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه وإلى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم، ويحتاج إلى العزم والتصميم على طيّ مراحل السير في هدوء ونظام وجد، وصدق نية، وكمال توجه إلى اللّه، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب اللّه وحب رسوله.

وللمسلمين في الأزهر آمال من الحق أن يتنبه أهله لها:

أولًا: تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله، وقد كثُر تطلع هذه الأمم إلى الأزهر في هذه الأيام، وزاد قاصدوه منها أفرادًا وجماعات، واشتد طلبها لعلماء الأزهر يرحلون إليها لأداة أمانة الدين وهي بيانه ونشره.

ثانيًا: إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية، وهي مجموعة مرتبط بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات، وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهودًا مضنية، وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة، على أن بعضها متصل بالآخر كما هو الحال في دراسة الأزهر، فإذا وفَّق اللّـه أهل الأزهر إلى التعمق في دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة وحديثة، ودراسة المعارف المرتبطة بها وأتقنوا طرق العرض الحديثة - أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضًا صحيحًا صادقًا بلغة يفهمها أهل العصر الحديث، وإذ ذاك يكونون أداة اتصال جيدة بين الحاضر والماضي، ويطلعون العالم على ما يبهر الأنظار من آثار الأقدمين، وأعتقد أن التعليم الأزهري على النحو الذي أشرت إليه هو الذي يرجى لتحقيق الأمل، وأنه مدخر لأبنائه إن شاء اللّـه.

ثالثًا: عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضًا صحيحًا في ثوب نقي خالٍ من الغواشي المشوهة لجماله، وخالٍ مما أدخل عليه وزيد فيه، ومن الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية.

رابعًا: العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينها، فإن الأمة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرقة، ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي إلى الحق في أكثر الأوقات، وأن بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها، ونشطت أهلها وخلقت فيهم تعصبًا يساير التعصب السياسي، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها، وهذه المذاهب فرقت الأمة التي وحدها القرآن وجعلتها شيعًا في الأصول والفروع، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين، ونتج عنه سخف مثل ما يقال في فروع الفقه الصحيح أن ولد الشافعي غير كفء لبنت الحنفي، ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة، وعذبات العمائم وطول اللُّحى حتى إن بعض الطوائف لا تستحيي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لإنشاء مساجد خاصة.

من الخير والحق أن نتدارك هذا وأن يُعنى العلماء بدراسة

القرآن الكريم والسنة المطهرة دراسة عبرة وتقدير، لما فيها من هداية ودعوة إلى الوحدة، دراسة من شأنها أن تقوي الرابطة بين العبد وربه، وتجعل المؤمن رحب الصدر هاشًا باشًا للحق، مستعدًا لقبوله، عاطفًا على إخوانه في الإنسانية، كارهًا للبغضاء والشحناء بين المسلمين.

قد أُتهم بأني تخيلت فخلت، ولا أبالي بهذه التهمة في سبيل رسم الحدود، ولفت النظر إليها، وفضل اللّـه واسع، وقدرته شاملة، وما ذلك على اللّـه بعزيز.

الآن وقد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين في الأزهر، ترون أيها السادة أن العبء الملقى على عاتق الأزهر ليس هين الحمل، فإنه في حاجة إلى العون الصادق من كل من يقدر على العون؛ إما بالمال أو العقل، أو بالمعارف والتجارب، وكل شيء يبذل في طريق تحقيق هذه الآمال، هين إذا أتت الجهود بهذه الثمرات الطيبة المباركة.

أيها السادة:

أكرر لكم شكري وأبعث من هذا المكان، وفي هذا الجمع المبارك تحية الأزهر إلى العالم الإسلامي وإلى دور العلم ومعاهده. وأتشرف برفع ولاء الأزهر إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر الملك فؤاد الأول وصاحب الفضل العميم في الأزهر في العصر الحديث، أدام اللّـه عزه

ومتع جلالته بالصحة التامة والتوفيق الدائم، وأقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي العهد المحبوب.

والسلام عليكم ورحمة اللّـه

* * *
* *
*

(٣)

المؤتمر العالمي للأديان في لندن

رسالة لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر[١]

(يقام كل سنة مؤتمر عالمي للأديان في عاصمة من كبريات عواصم الغرب الغرض منه دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب لحسم مادة الخلافات بينها تذرعًا لإبطال الحروب والمخاصمات. وقد دعا المؤتمر في هذه الدفعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر لإلقاء خطابه في موضوع كيف تتقرر زمالة عالمية بين الأفراد المختلفي الأديان والنحَل.

وقد أجاب فضيلته الدعوة فأرسل للمؤتمر ببحث طريف جامع في هذا الباب، وأناب عنه فضيلة الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغي شقيقه في إلقائه، واعتذر هو عن الحضور بنفسه لكثرة أعماله، فقبل المؤتمر عذره، وقابل خطابته بما هي أهل له من الإطراء والإكبار. وها هو نص تلك الخطبة):

* * *

---

(١) مجلة الأزهر، ج (٥)، مجلد (٧)، (ص ٣٠١ - ٣١١)، عدد (جمادى الأولى ١٣٥٥هـ/ يوليو ١٩٣٦م).

كلمة التحية للمؤتمر:

١ - تشرفت بالدعوة إلى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره، وكنت شديد الرغبة في شهوده وفي لقاء حضرات السادة ممثلي الأديان والمذاهب، لكن أسبابًا قوية حالت دون بلوغي هذه الأمنية، فبعثت بكلمتي هذه وأنبْتُ عني في إلقائها الشيخ عبد العزيز المراغي المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلندن، وأنا راجٍ منكم أن تتقبلوا أصدق عبارات التحية والإجلال، وأصدق الأماني لتحقيق الغرض السامي الذي تسعون إليه.

فكرة الزمالة طبيعية:

٢ - إن فكرة الزمالة تولدت في الجماعات الساذجة، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة في أشكالها البسيطة، ونمت الفكرة بنمو الجماعات، وامتد سلطانها فشملت القبائل، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة.

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجةِ الأمم بعضها إلى بعض، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة في البشرية كلها بمأمن من الغوائل، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة، بل تحتاج إلى مشاركة عامة، أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنساني كله. ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية، بل هي حاجة طبيعية تولدت في النوع

البشري منذ دور الطفولة، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان، ويعود عليه بالخير.

أسباب التفرق طبيعية:

٣ - ومع شعور الإنسان بالحاجة إلى الزمالة، ومع أن العقل يقتضيها، فقد كانت عوامل التفرق دائمًا ملازمة لهذا الشعور؛ لأن الإنسان لا يسيره العقل وحده، ولكن تسيره أيضًا غرائز حيوانية ركبت فيه، ومن هذه الغرائز حب الأثرة والغيرة، والخوف والشك، وقد أضيف إلى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب، فوجد عاملًا آخر للتفرق، حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الإنساني المنشود تدافعه كل تلك النوازع في الإنسان، يبدو له أنه مطلب لا ينال في هذه الحياة؛ إذ يهوله ما يحتكم فيها من شرور تصرفها تصريفًا جائرًا شرسًا لا قلب له ولا وجدان.

التدين هو الدواء:

٤ - ولا أعتقد أن التقدم العلمي والفلسفي بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها؛ فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولًا ووحشيةً كلما ازداد تقدم العلم، وأنه أمضى أسلحتها. بل في الحق إني لا أعتقد أنه سيجيء اليوم الذي تتحقق فيه المثل العليا للبشرية؛ لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة في الإنسان فإنه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار.

٥ - لكن هذه العقيدة لا يصح أن تقفنا عن البحث عن الوسائل الملطفة لتلك الغرائز والكابحة لجماحها، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل.

والمتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين، ودفعته إلى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر، وأن هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسؤولية والمجازاة، ففي التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته عوامل ليست أقل خطرًا ولا أضعف أثرًا في دفع الإنسان إلى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية إلى الشرور، والدافعة إلى الحرب والحرص، وإفساد شأن الجماعة الإسلامية.

وليس من شك في أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة، واعتقاد أنها خير خالص يصل إليه الإنسان بالعمل الصالح، أو شرٌ محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر، يجعل قلب الإنسان مطمئنًا راضيًا إذا ساء حظه في الحياة الدنيا، ويغير نظره إلى هذه الحياة تغييرًا تامًا. ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار بعد وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم، يحفز الإنسان إلى الإكثار من عمل الخير وببعده عن عمل الشر.

٦ - يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان من داخل الإنسان، وهو خوف اللـه. وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا إلى

جعل الإنسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته، ونبّهوا الضمير الإنساني بواسطة التهذيب والتربية، أغنى ذلك عن التدين. لكن أنى لهم ذلك، وكيف يستطاع تهذيب الدهماء ومن تلهيهم من أول أدوار الحياة الحاجة إلى القوت؟! فالرجوع إلى غريزة التدين أسهل. وهذا الشعور الديني إذا عمق وصلح أقوى - أو على الأقل ليس أضعف - من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب. وهذا الشعور يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والطبقة والثروة، وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى، ويهوّن عليها الفقر، ويخفف ثورتها عليه.

وهذا الشعور يكرم النفس الإنسانية ويحدوها إلى المعرفة والحكمة، ويكره إليها الجهل والحمق. كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلًا لولا طوارئ أخرى. ومن هنا تقوى طماعية المتدين في قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الإنسانية مهما عزَّ ذلك أو بعد، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الإنسان.

٧ - نعم إن الإنسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاد قاسٍ مخيف، أدار رحاه الخلاف الديني، وكان فيه الشعور الديني الحاد الجاهل قوة طائشة دفعت إلى عنف وتدمير رهيب مروع. وإن الإنسانية لترنو في خيبة إلى آلاف من الأجيال المتمدينة لم تدنها كثيرًا من تلك الأخوة الإنسانية، بل لا تزال إلى اليوم يائسة منها، لكن المتدين مع ذلك كله يعاوده أمله القوي، ويدرك

أن تلك الذكريات المروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص في طبيعة التدين أحدث ذلك كله، بل إن ذلك في الحق إنما سبَّبته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين، فتحكمت الحياة في التدين، حين كان ينبغي أن يحكم التدين في الحياة؛ وسببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر استغلوا الشعور الديني استغلالًا ماديًّا في سبيل مآرب لا تثير دفين مخزياتها.

وحسبنا أن نقول: إن ما نال الإنسانية في عصور التدين من شر، وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي، ليس لشيء في طبيعة التدين، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني.

على أن ناموس التدريج الطبيعي يفسر هذا الذي كان من ألم وخيبة بأنه حال اقتضتها درجة رقي الحياة في تلك العهود، وإن ما صارت وتصير إليه تلك الحياة من رقي، يؤهلها للانتفاع بالشعور الديني في إدنائها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساده.

وها هو ذا الرقي العقلي والنفسي قد حسم فعلًا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية، ووجه الشعور الديني توجيهًا أصلح نوعًا مما كان قديمًا. ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية.

٨ - وهذا ما جعل اغتباطي بهذا المؤتمر عظيمًا، فإنه فضلًا عن سعيه للبحث عن الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية، وهي الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنساني

وأممه، فإنه بهذا السعي يحقق غرضًا أساسيًا من الأغراض التي سعتْ إليها الأديان وعُني بها الإسلام الذي أُدين به؛ فقد نبَّه القرآن إلى وحدة الأبوين الموجبة للتعارفْ والتعاون والتناصر، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل، ولم يقم وزنًا لشرف المولد وكرم الجنس، ووضع معيارًا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى اللّـه ، وفي القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وطلب القرآن إلى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان،؛ وفي القرآن الكريم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وقد عمل الرسول الأكرم محمد – صلوات اللّـه عليه – وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادئ السامية، حتى أبيح الإصهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها.

الزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة العالمية:

٩ – وإذا ما كانت تلك الزمالة أملًا مرجو التحقيق يتداعى لتنميته رجال الدين ويحتفلون بذلك في جدٍّ وحزمٍ، فمن الحزم

إذًا أن نعود إلى هذا الشعور الديني نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته في البشرية، لنبدأ منه خطتنا في تنمية الزمالة؛ وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم بما في الأديان من الشعور الديني المشترك بينها، وبما فيها من الفضائل العملية والغايات الاجتماعية الصالحة، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها.

وكل ما في الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشري أسس صالحة ترمي إلى الخير، وإلى أن يكون الفرد عضوًا نافعًا في المجتمع، يعاشر أخاه بالمعروف، ويدفع عنه النوائب، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الإنسان واقعة تحت الرغبات الإلهية، مطلوبة للخالق الحكيم الذي يحيي ويميت ويرزق، ويغيث الملهوف المضطر، ويعد بعد الموت حياة هنيئة لمن يعمل الصالحات.

والدعوة إلى تنمية الشعور الديني المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية، وأَوْلَى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذي يداهم الإنسانية لا يجيء من أديان المخالفين، وإنما يجيء من الإلحاد ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعبدها، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزوًا ولعبًا.

الأغراض التي يسعى لها أهل الأديان:

١٠ - والأغراض التي أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان:

معنوية وعملية. الأغراض المعنوية هي في الإجمال إزاحة العلل التي حالت دون تأثير الشعور الديني في تقريب ما بين الناس، وهي إما تَلَوثُهُ بالشوائب المفرقة، وإما ضعفُهُ وتحللُهُ.

فإن الناس بين رجلين: رجل مؤمن قوي الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شرور الحياة، لكنه منحرف عن الجادة تثور فيه عناصر الحقد على المخالف والكره له والتربص به، فهو في حاجة إلى توجيه إيمانه توجيهًا نافعًا، وإلى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب، وإلى فهم معنى التدين فهمًا صحيحًا خاليًا من الأغراض البشرية المادية. ورجل ضعف إيمانه أو أقفر قلبه منه، وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التي تسمى مستنيرة ويدعوها الناس مثقفة. وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبي، وما ثار بينهما من خلاف، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى آراء في الخير والفضائل العملية وقفت بعض الأديان في سبيل الموافقة عليها؛ أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة إلى نواحٍ لم يوافق الدين على ترسمها، فكانت صلة العلم المادي والعمل الخُلُقِي والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرماته؛ وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سببًا في اتساع الهوة وجرأة المخالفة جرأة عصفت بالشعور الديني في قلوب أولئك المتعلمين، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم.

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الديني، وإعادته يعمر القلوب ويملأ النفوس هيبة

ورهبة من اللّـه، ورحمة ورفقًا بعباد اللّـه، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية، وأمام تيارات التقدم العقلي والتحرير الفكري. ولا شك في أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقي الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة. ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الديني في قلوبهم، فإنهم يكونون قوة فعالة في تنمية وسائط الإخاء البشري، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معانٍ روحية سامية مجردة عن المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتنر طريقهم الفلسفة.

الأغراض العملية هي على الإجمال جعل التدين أداة فعالة في تهذيب الجماعة، وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان، من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية، وتصيير الفضائل العملية التي تدعو إليها الأديان كلها نظمًا عملية. بذلك يقل فتك الشرور بالإنسانية في الأمم، وتتقارب أنظارها، وتدنو من الإخاء الإنساني بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها.

١١ - ومما يثير العجب ويضاعف الألم، أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضًا مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك، وسلكوا طرقًا في التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق، مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة، وجعل كل جهودهم عقيمة

النتائج، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جاد في إنزالهم من مكانهم اللائق بهم، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية. وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة، وهذه الإباحية التي يئن منها العقلاء، وهذه العادة المستحكمة التي تجر الويلات على الآمنين بين حين وآخر، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية.

لكن ما الذي كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان كما تعمل في غيرهم، وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغري غيرهم، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم، ويفتري بعضهم على بعض في الدين كما يفتري غيرهم.

لكنَّ قبسًا من النور لا يزال باقيًا للمتقين، وهو أن اللّٰه أرحم بعباده من أن يتركهم في هذه الشرور المتلاطمة أمواجها، وأقدر على إيجاد الوسائل التي ترد الإنسان إلى مواطن الشرف والفضيلة. وأنتم موطن الأمل ومعقد الرجاء.

الوسائل التي تتحقق بها الأغراض:

١٢ – وسأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد على تحقيق

الغرض، مكتفيًا بالإجمال، تاركًا التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر، وللابتكارات المتجددة التي ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبي الإنسانية:

(أ) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد، ولذلك وسائل؛ منها:

١ - توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنساني، بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعاظه.

٢ - جمع كل ما في الدين من المعاني الإنسانية السامية العامة، من الرفق بالبشَر والبرِّ بهم، من حيث هم أفراد من نوع الإنسان، دون نظر إلى الفوارق الأخرى، **وإذاعةُ ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات.**

٣ - جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائمًا على أساس عقلي محض، وحب للحقيقة ورغبة صادقة في الوصول إليها، ومع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة في توجيه الاعتقاد والإغراء به، وقصر الجهد على إبراز ما في الدين المدعو إليه من محاسن.

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسمًا شريفًا نزيهًا صادق الرغبة في المسالمة.

(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني، وبخاصة في الطبقات المستنيرة، فتُعنى بتأييد مركز التدين أمام البحث العلمي والتفكير

النتائج، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جاد في إنزالهم من مكانهم اللائق بهم، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية. وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة، وهذه الإباحية التي يئن منها العقلاء، وهذه العادة المستحكمة التي تجر الويلات على الآمنين بين حين وآخر، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية.

لكن ما الذي كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان كما تعمل في غيرهم، وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغري غيرهم، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم، ويفتري بعضهم على بعض في الدين كما يفتري غيرهم.

لكنّ قبسًا من النور لا يزال باقيًا للمتقين، وهو أن اللّـه أرحم بعباده من أن يتركهم في هذه الشرور المتلاطمة أمواجها، وأقدر على إيجاد الوسائل التي ترد الإنسان إلى مواطن الشرف والفضيلة. وأنتم موطن الأمل ومعقد الرجاء.

الوسائل التي تتحقق بها الأغراض:

١٢ – وسأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد على تحقيق

الغرض، مكتفيًا بالإجمال، تاركًا التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر، وللابتكارات المتجددة التي ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبي الإنسانية:

(أ) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد، ولذلك وسائل؛ منها:

١ - توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنساني، بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعاظه.

٢ - جمع كل ما في الدين من المعاني الإنسانية السامية العامة، من الرفق بالبشر والبرِّ بهم، من حيث هم أفراد من نوع الإنسان، دون نظر إلى الفوارق الأخرى، **وإذاعةُ ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات.**

٣ - جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائمًا على أساس عقلي محض، وحب للحقيقة ورغبة صادقة في الوصول إليها، ومع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة في توجيه الاعتقاد والإغراء به، وقصر الجهد على إبراز ما في الدين المدعو إليه من محاسن.

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسمًا شريفًا نزيهًا صادق الرغبة في المسالمة.

(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني، وبخاصة في الطبقات المستنيرة، فتُعنى بتأييد مركز التدين أمام البحث العلمي والتفكير

الحر، تأييدًا يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه التماسًا للمعرفة، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل، وعن الارتكان على السلطة الروحية المستبدة، وبالجملة يبتعد عن الأخطاء الماضية التي دفعت الإنسانيةُ ثمنها باهظًا مرهقًا.

ويكون لهذه الهيئة شُعَب، شعبة تحدد ما بين العلم التجريبي والدين من خلاف قائم أو خلاف يجدّ، وتتبع ذلك في الدوائر العلمية المختلفة، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حبٍّ للحقيقة وحرصٍ عليها، في لباقة لا تدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد. وشعبة تحتفي بالآراء الخُلُقية وبيان الفضائل، وما يكون من ذلك جائرًا على الحياة المعنوية، متأثرًا بأغراض نهمة ومطامع شريرة، فتبحث ذلك في عمق ودقة، ويذاع منه الآراء المقنعة التي تنال تأييد المفكرين المخلصين، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة. وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غاياتٍ للحياة وأساليبَ فيها؛ كالاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك، تبين منها موضع الخير وناحية الحق، وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحياة. كل ذلك يذاع في الأسلوب الصحيح، ليسمع الناس الرأيَ الصالح مؤيدًا بالبرهان، موفقًا بينه وبين التدين، مراعي في كل هذا وجه اللّـه، ووجه الحق، ووجه الخير للإنسانية.

١٣ - ونظرًا لأن الإنسانية قد نالها عسف كثير نرى (بحقٍّ أو بغير حقٍّ) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها.

فمن الحق أن تظفر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها. وأرى أن تؤكد الوحدة الدينية قولًا وعملًا، وأن تجد في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية ولا إلى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ، وأنهم إنما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداة رسالتهم الكريمة لإسعاد الإنسانية وترفيهها، وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها، وأنهم قُوَّام على تفسير الناموس الإلهي بالحقِّ والدعوة إليه ليس لهم من الأمر شيء، ثم تحافظ على ذلك أشد المحافظة، وتقوّم من يندّ عن هذا المبدأ ويخالفه.

إذ ذاك تستفيد الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني، وتكتسب المبادئ الدينيةُ والفضائل الخُلُقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة، سلطة عملية تمكن من السعي إلى حماية النظم والقوانين، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة.

وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع إلى تأييد مبادئهم وقواعدهم، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة في الأديان، فيقاوم الزنا، وتحمى الأسرة، ويعاقب على الكذب والغيبة والنميمة

والدس والوقيعة ولو لم تصور في جرائم مادية، وتحد الحرية في التمتع وأسباب الشهوات، وتحرم المنافسة غير الشريفة، وتراقب المكاسب المادية، ويحرم الخبيث منها، ويعاقب على الجشع والخداع والتغرير، إلى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الإنسانية من أدناسه، فساء التطبيق، وانحرفت وجهة التدين أو ضعفت، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم، والذين خلت قلوبهم من رهبة اللّـه ورحمة عباده.

١٤ - وما من شكٍّ في أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستَبتكر على يد رجالها الذين يزين الإيمان قلوبهم، وتطمئن نفوسهم روحانية الدين الصادقة، وسائل نَاضجة فعالة لهذه الأغراض، ولكن يجب ألّا ننسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول السياسة والاصطدام بها، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الديني والشعور بالفضيلة، وعلى إنماء روح الكره لما يغمر العالم الآن من المفاسد والشرور التي نزلت بالإنسانية إلى مستوًى منحطٍّ لا يفكر في غير قضاء الشهوات وسد حاجة الغرائز البهيمية،وإشباع نهم القوى الشرسة، وصفات العدوان.

١٥ - ذلك ما رأيته لتنمية الزمالة العالمية، وقد قام على أساسين صحيحين، وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهي ممكنة وفعالة، وإن كانت تحتاج إلى جهد ودأب طويلينِ،لكن المطلب نبيل والخطب جليل. وإن الإسلام ليمنحها تأيده القوي.

وفي أصول الإسلام أقوى الدعائم التي ترتكز عليها الفكرة، فهو يقرر أنه لا إكراه في الدين، ويقول للرسول صلوات اللـه عليه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. ويقرر أن الدعوة إلى اللـه تكون بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ويخاطب العقل وينبه إلى التفكير فيما خلق اللـه، ويرفع العلم والعلماء. ويقول نبي الإسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ويقول له اللـه تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويحث على البر والرحمة، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء، بل وعلى الرفق بالبهائم، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة في بيت المال، وجعل للفقراء حقًا لازمًا مفروضًا في أموال الأغنياء، وجعل الجناية على نفسٍ واحدةٍ جناية على الإنسانية، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام.

ولا أطيل عليكم أيها السادة، فليس من غرضي ولا من غرضكم شرح أصول الإسلام وعرض مبادئه، ولكني بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم إلى أن الغرض الشريف الذي تسعون إليه لا ينافي قواعد الإسلام العامة.

١٦ – وإني أيها السادة في ختام كلمتي هذه أبتهل إلى اللـه أن يؤيدكم فيما تسعون إليه من خيرٍ للإنسانية، وأن ينير لكم الطريق ويهديكم سواء السبيل.

محمد مصطفى المراغي

المصادر والمراجع

- الأفغاني، جمال الدين: الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت (١٩٧٩م).
- أمين الخولي: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، طبعة القاهرة (٢٠٠٦م).
- الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، طبعة دار فارس، بيروت.
- د. جمال الدين الشيال: رفاعة رافع الطهطاوي، طبعة القاهرة (١٩٧٠م).
- علي عبد العظيم: مشيخة الأزهر، طبعة القاهرة (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- د. محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، طبعة القاهرة (١٩٣١م).
............: المنار، مجلدات (٢٩، ٣٠، ٣٥).
- د. محمد عمارة: من أعلام الإحياء الإسلامي، طبعة القاهرة (٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد مصطفى المراغي: مذكرة إصلاح الأزهر.
............: رسالة الزمالة الإنسانية.
............: خطابه في الاحتفال بعودته لمشيخة الأزهر.

دوريات:

- مجلة الأزهر، المجلد (٧)، ج (٥)، عدد جماد أول (١٣٥٥هـ).
- الشرق الأوسط، لندن.
- وطني، القاهرة.

وثائق:

التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي، طبعة مالطا (١٩٩١م).

* * *
* *
*



الكِتَابُ فِي سُطُور

عرفت الساحة الفكرية والدينية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين الشيخ المراغي كأحد العلماء العظام الكبار وأحد أقطاب الإصلاح في عصره، عرفته مصلحًا اجتماعيًا كبيرًا ووطنيًا غيورًا ورجل دين من طراز فريد يؤمن بعالمية الإصلاح الديني، وكان من أبرز دعاة إصلاح الأزهر؛ ليكون منارة وقلعة للإسلام والمسلمين. كما دعا لإصلاح القضاء التشريعي. احترف رحمه الله صناعة الإصلاح فأنجز في ميدان صناعة العلماء أعظم مما أنجز في تسطير الكتب. فما أحوج أمتنا إلى من ينشط ذاكرتها ويعرف الأجيال الناشئة بسير أعلامها أمثال المراغي رحمه الله حفزًا للهمم وتقوية للعزائم!

الناشر


دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com


ISBN: 978-977-5059-36-7
9 789775 059567